الباب الثاني

ملف التقرير

الخليج العربي... من ملامح الواقع وآفاق المستقبل

الأمن في الحوض الخليجي ..... د. سامي الدلال

المدارس الأجنبية في الخليج (البحرين أنموذجًا) ..... د. عبد العزيز بن أحمد البداح

العلاقات الخليجية الإيرانية ..... د. ضيف الله الضعيان

الأقليات الدينية في الخليج العربي ..... أ. أحمد فهمي

الأمن في الحوض الخليجي

د. سامي محمد صالح الدلال

دكتور فى العلوم السياسية

ملخص الدراسة

تتعـدد مقومـات الأمن في الحوض الخليجي، ويأتي على رأسـها الأمن السـنني، فاسـتقرار الأمن في الحوض الخليجي ينبغي أن يُنظر إليه من منظار أن سنة الله –تعالى- جرت بتوفير الأمن لعباده؛ لإعطائهم فرصة مطمئنة ومسـتقرة لإمعان الفكر وإعمال العقل ليحققوا العبادة له وحده لا شـريك له، لكن اسـتمرار هذا الأمن لكل أمة مرتبط بمدى تحقيق عبوديتها لله –تعالى- وبإقلاعها عن الشرك.

ورغـم أن تحقيـق التوازن الاسـتراتيجي من أبرز مقومـات الأمن؛ فإن ميزان القوى بات مختـلاً لصالح إيران، الأمر الذي يجب أن تتداركه الدول العربية في الحوض الخليجي بإسـراع الخطى لإعادة مؤشـر الميزان إلى وضع الاستقرار.

مـن جانب آخـر فإن المتمعن في التركيبة السـكانية في دول الحوض الخليجي – ماعدا إيران– سيكتشـف بسـرعة أنهـا واقعة في بحر مـن الإخلالات الخطـيرة، وغياب التجانس السـكاني؛ ما ينجم عنـه أخطار أمنية فادحة، تطيح بالاستقرار المرغوب في هذه الدول، هذا بجانب الوضع الطائفي المحتقن، واتساع الفجوة بين السنة والشيعة في الحوض الخليجي، ويساعد على زيادة خطورة هذا الأمر توتر العلاقات مع إيران.

كمـا تفتقـد دول الحوض الخليجـي في هذه الآونة أيضًا إلى الاسـتقرار الاقتصادي المطلـوب لتحقيق الأمن، خاصة بعد أن دخل اقتصاد العالم في مرحلة الركود والكساد، واتجهت أسعار النفط نحو الانخفاض.

إن الناظـر المتفحـص في وضع الحـوض الخليجي يجد أن أمن دُولـه العربية يتهددها مخاطـر كثيرة، أبرزها اختـلال عوامل الأمن الأساسـية السـابق ذكرها، بجانب احتمـالات الحرب التي تدق طبولها بشـدة وعنف في منطقة الحوض الخليجي.

ويعتبر الوضع في العراق من مهددات أمن الحوض الخليجي لأسـباب واقعية واسـتراتيجية، هذا بجانب هبوب رياح الاحتقان الطائفي من لبنان وإيران، وبروز مخاوف من انتقال الاحتقان الطائفي السني الشيعي من لبنان إلى دول الخليج، ولعل المخاوف من امتلاك إيران للأسلحة النووية يعد أحد أبرز التهديدات التي تحدق بأمن الحوض الخليجـي. ولا يقتصـر التهديـد على الخطر القادم من إيـران، ولكن دولة الكيان اليهودي بدورها تسـعى إلى التغلغل في مختلف القطاعات العسكرية والتجارية، والإعلامية والرياضية، في الدول الخليجية.

إن التهديـدات المحدقـة بدول الخليج تفرض عليهـا اتباع عدد من المحددات العقدية والاسـتراتيجية الضرورية لتحقيـق الأمـن في منطقة الحوض الخليجي، ويأتي على رأسـها الالتزام بتطبيق أحكام الشـريعة الإسـلامية، والنص على ذلك في جميع الدساتير الخليجية .

الأمن في الحوض الخليجي

د. سامي محمد صالح الدلال

دكتور فى العلوم السياسية

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على إمام المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛ فإننا في هذه الدراسة المقتضبة جدًّا سنتناول الأمن في الحوض الخليجي، طبيعته السُّنَنِيّة، ومقوماته البنيوية، ومهدداته الداخلية والخارجية، ومحدداته العقدية والسياسية والاستراتيجية التي توفر حفظه واستقراره، وذلك وفق عناوين عدة.

مقومات الأمن في الحوض الخليجي

نبرز هاهنا أهم مقومات الأمن في الحوض الخليجي.

١ – الأمن السُّنَنِيّ:

لا شك أن الحافظ للإنسان، سواء كان فردًا أو مجتمعات، هو الله تعالى. قال الله عز وجل: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ (الأنبياء: ٤٢). وقد جرت سنة الله تعالى بتوفير الأمن لعباده؛ لإعطائهم فرصة مطمئنة ومستقرة لإمعان الفكر وإعمال العقل ليحققوا العبادة له وحده لا شريك له، فهو الذي خلقهم ورزقهم وأسبغ عليهم نِعَمه ظاهرة وباطنة. وقد كان الأنبياء يُبعَثون في أقوامهم وهم يتمتعون بنعمة الأمن، ولا يكدر معيشتهم ما يخيفهم أو يفزعهم، فيطمئنون لذلك ويغفلون عن نزول عذاب الله بهم بسبب شركهم. قال تعالى واصفًا حال ثمود قوم صالح عليه السلام قبل أن يُرْسَل إليهم ﴿ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ (الحجر: ٨٢). وقال تعالى: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴾ (الشعراء: ١٤٦ – ١٤٩)، وقال تعالى عن قوم سبأ واصفًا حالهم وهم يتنعمون في بساتينهم وجناتهم قبل أن يجتاحهم سيل العرم: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾ (سبأ: ١٨).

وقال تعالى واصفًا حال قريش قبل بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ (قريش: ٣-٤). إن استمرار هذا الأمن لكل أمة مرتبط بمدى تحقيق عبوديتها لله تعالى وبإقلاعها عن الشرك. وقد جاء ذلك واضحًا في محاجة قوم إبراهيم عليه السلام له. قال تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ (الأنعام : ٨٠ – ٨٢).

فإن لم يتحقق ذلك فلا أمن بل عقاب رباني وفق ما جرت به سنة الله تعالى. قال الله عز وجل: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ (الأعراف : ٩٧ ، ٩٩).

إن استقرار الأمن في الحوض الخليجي ينبغي أن يُنظر إليه من هذا المنظار الذي ذكرناه. وإنه من المؤسف أن نسجل الملاحظات التالية على الواقع العقدي والتشريعي في هذا الحوض مما يفقده الأمن ويجعله مهددًا بالمخاطر .

تنتشر في جميع دول الحوض الخليجي البنوك والمؤسسات التي تتعامل بالربا، وهذا يفقدها الأمن الاقتصادي؛ لقوله تعالى: ﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾(البقرة : ٢٧٦).

١- إن معظم الدول الخليجية لا تحتكم إلى الشريعة الإسلامية، بل إلى دساتير وضعية تم تلفيقها من قوانين الغرب والشرق. وهو ما اصطلح على تسميته شرك الحاكمية. وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾ (الكهف : ٢٦).

٢- تنتشر في جميع دول الحوض الخليجي البنوك والمؤسسات التي تتعامل بالربا. وهذا يُفقدها الأمن الاقتصادي؛ لقوله تعالى: ﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ (البقرة : ٢٧٦)، وما حل من انهيار اقتصادي عالمي في البنوك والبورصات -وبنوك الخليج العربي وبورصاتها جزء منها- هو تحقيق لنفاذ المعنى السنني لهذه الآية؛ لأن التعامل بالربا مؤداه الإعلان بالحرب من الله ورسوله، ومن يقدر على تحمل ذلك ؟!. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾(البقرة : ٢٧٨- ٢٧٩) .

٣- لقد انتشر الظلم في الحوض الخليجي، ليس على مستوى القوانين والحكومات فحسب، بل قد تلبس به كثير من الأفراد، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فضاعت جُلّ الحقوق، وازدادت مساحات الفقر والمرض والجهل، وانعدمت كثير من القيم الإنسانية أو أوشكت، ومعلوم أن الظلم من أسباب هلاك الأمم. قال تعالى: ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴾(الكهف: ٥٩)، وقال تعالى: ﴿ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾ (الشعراء : ٢٢٧) .

٤- أضحى الانفتاح السياحي والإعلامي محل تنافس في الحوض الخليجي. ويتضمن ذلك افتتاح البارات والملاهي الليلية، والمجمعات الهائلة التي تعجّ بالاختلاط والمسابح المترعة بالتعري، وغير ذلك من الوسائل التي جعلت الملايين من النصارى وسواهم يؤمون معظم بلاد الحوض الخليجي، فيعيثوا فيها الفساد، ويفتنوا العباد، فعمَّ فيها الفسق وانتشر الفجور. ولا شك أن ذلك من أسباب الأخذ الإلهي والتدمير الرباني. قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾(الإسراء : ١٦) .

٢ – التوازن الاستراتيجي:

عندما أخل شاه إيران بتوازن القوى في الحوض الخليجي سمحت أمريكا بسقوطه وعاونت على ذلك، غير أن الخميني الذي أطاح به سرعان ما رفع شعارات خطيرة، من أهمها تصدير الثورة الإيرانية، فشجعت أمريكا وقوع الحرب بينه وبين بعث العراق، وشرعت في نفخ كيرها حتى استمرت حوالي ثماني سنوات، دُمّر خلالها البلدان وخرجا بلا غالب ولا مغلوب. وبشكل خفي أعطت أمريكا الضوء الأخضر لاحتلال الكويت فتم ذلك عام ١٩٩٠م، واستباح البعث خضراءها، ثم جاءت أمريكا وجيوش التحالف من كل مكان، فأخرجوا صدامًا المعتدي من الكويت عام ١٩٩١م، غير أن ميزان القوى اختل بعد ذلك لصالح إيران، فكانت حرب احتلال العراق عام ٢٠٠٣م، ولا تزال الجيوش الصليبية محتلة لذلك البلد المسلم.

خلال السنوات الماضية طوّرت إيران أبحاثها النووية، ومدت نفوذها السياسي ليتغلغل في دوائر اتخاذ القرار

في بعض الدول الخليجية، وأصبحت تمارس الضغوط على دول الخليج ليقفوا في صفها في المواقف التي تراها، وسارعت في إعادة تسليح جيشها وحرسها الثوري، وشرعت في تهديد خطوط الملاحة الخليجية، وتهديد إمدادات النفط الخليجي لدول العالم، في حين يستمر إنهاك القوات الأمريكية وحلفائها في العراق، وبات ميزان القوى الاستراتيجي في الحوض الخليجي مختلاً لصالح إيران، خاصة مع وجود جاليات مؤثرة من الشيعة تصطفّ مع منحاها في بعض دول الخليج، وخاصة في البحرين والكويت والسعودية.

إن المطلوب من الدول العربية في الحوض الخليجي أن تغذ السير وتُسرع الخطى لإعادة مؤشر الميزان إلى وضع الاستقرار، وهذا من أبرز مقومات الأمن في هذا الحوض. ولكن مما يؤسف له أن تفاوت القوى بين دول المنطقة من جهة وبين إيران من جهة أخرى هو في حالة اتساع الزاوية لصالح إيران. وبهذا الاعتبار فإن دولاً أخرى قد تتدخل في المنطقة منطلقة من تلك الزاوية التي ذكرناها. ولما كان الأمر متسابقًا مع الزمن فإن احتمالاً كبيرًا أن تندلع الحرب في الحوض الخليجي، ثم تمتد إلى بعض دول الشرق الأوسط مثل سوريا ولبنان؛ حيث إن دولة الكيان اليهودي وحلف الناتو يرون أن الملف النووي الإيراني سيُسقط منطقة الحوض الخليجي في كامل النفوذ الإيراني، ويجعل إيران متحكمة في شرايين إمدادات النفط الخليجي، ويجعلها متوازنة استراتيجيًّا على المستوى الذري مع دولة الكيان اليهودي، وهذا مرفوض يهوديًّا ونصرانيًّا على حد سواء. وبناء على ذلك فإن وقوع هذه الحرب لتدمير المفاعلات الذرية الإيرانية (وربما البنية التحتية كذلك) بات شديد الاحتمال.

٣ - التركيبة السكانية:

إن المتمعن في التركيبة السكانية في دول الحوض الخليجي - ماعدا إيران - سيكتشف بسرعة أنها واقعة في بحر من الإخلالات الخطيرة التي تقضُّ مضاجع الأمن، وتورثه الهلع والفزع. ففي دولة الإمارات العربية ومن بين ٤ ملايين و١٠٦,٤٢٧ نسمة يمثلون إجمالي السكان، فإن عدد المواطنين لا يزيد عن ٨٢٥,٩٤٥ نسمة، مقابل ٣ ملايين و٢٨٠,٩٣٢ نسمة من الوافدين، أي أن عدد المواطنين يشكلون ٢٠,١٪ فقط من مجمل السكان. وفي دولة قطر فإن مجموع القوى العاملة من الوافدين تبلغ ٨٤٨,٣٨٣ نسمة، مقابل ١٢٨,٦٠٨ نسمة من المواطنين. وفي السعودية التي يبلغ مجمل عدد سكانها حوالي ٢٣ مليونًا، فإن عدد العمال الوافدين يبلغ حوالي ٦ ملايين ونيفًا. وفي البحرين التي يبلغ عدد سكانها مليونًا و٤٦,١١٤ نسمة؛ فإن منهم ٥١٧,٣٦٨ نسمة من الوافدين، وفي الكويت حيث يبلغ عدد سكانها حوالي ٤ ملايين نسمة، فإن منهم حوالي ٢ مليون و٧٥٠ ألفًا من الوافدين.

أما في عمان؛ فإن نسبة هذا الخلل في التركيبة السكانية أقل بكثير من مثيلاتها في باقي دول الخليج. أما العراق، وهي من دول الحوض الخليجي، فإن خللاً كبيرًا طرأ على تركيبتها السكانية، وخاصة في الجنوب، بسبب الهجرات الجماعية الإيرانية إليها. ولا تتوفر الآن إحصاءات تبين مقدارها [1].

إن هذه التركيبة غير المتجانسة للسكان في الدول العربية المطلة على الحوض الخليجي تنجم عنها أخطار أمنية فادحة، تطيح بالاستقرار المرغوب في هذه الدول، من أهمها ما يلي:

١- تشكل بعض الجاليات من هذه العمالة الوافدة أخطارًا على الوضع الأمني، من مثل المظاهرات التي قام بها عشرات الألوف من البنغاليين في الكويت، بسبب عدم حصولهم على حقوقهم المالية، وكذلك الهنود في البحرين والإمارات.

٢- تستخدم بعض هذه الجاليات للتأثير على القرارات السياسية في دول الخليج؛ وذلك لثقلها في التأثير على المسيرة الحياتية المعيشية في تلك البلاد.

٣- تشكل بعض تلك الجاليات هواجس تختص

(١) الأرقام المذكورة أعلاه نشرتها : Le Mond Diplomatique في نسختها العربية ٢٠٠٨م عدد (٩).

بإحداث قلاقل سياسية، بسبب ما تشكّله أعدادها من ثقل في التركيبة السكانية، فمثلاً: يبلغ عدد الإيرانيين في دولة الإمارات حوالي ٤٥٠ ألفًا، كما جاء في بعض الإحصاءات.

٤- إن معظم العمالة الوافدة هي عمالة استهلاكية، وليست عمالة منتجة، وبالتالي فإنها تشكل عبئًا اقتصاديًّا على دول الخليج، كما أن ما تحصله من أموال يحول معظمه للخارج، ولا يُنفق في داخل البلاد التي تقطنها، فبحسب إحصاءات عام ٢٠٠٧م فإن مجموع التحويلات الصادرة من العمالة الوافدة بلغ ٤٠ مليار دولار، حيث بلغت تحويلات العاملين في المملكة العربية السعودية (١٥,٦ مليارًا) وفي الإمارات العربية المتحدة (٨٠ مليارًا) وقطر (٤,١ مليارًا) في المقدمة. (٢)

٥- إن كثيرًا من العمالة الوافدة، وخاصة التي من الهند ومن دول جنوب شرق آسيا هم من النصارى أو البوذيين أو البهرة أو الهندوس، وكثير منهم يمارسون أعمال الخدمة في داخل المنازل، ويشرفون على تربية أولاد المسلمين، وقد أحدث هذا الأمر خللاً كبيرًا في نصاعة الانتماء العقدي لدى المسلمين، وخاصة لدى النشء، وهي قضية في غاية الخطورة.

٦- أوجدت بعض العمالة الوافدة كيانات خاصة بها في داخل الدول الخليجية؛ بغرض إعطائها قوة مؤثرة في جميع الجوانب، سواء سياسيًّا أو اقتصاديًّا أو اجتماعيًّا أو أمنيًّا، ومثال على ذلك «جمعية حماية العمال الوافدين» في البحرين.

٧- أدى وجود هذا الكم من الوافدين، وخاصة من أهل الانتماءات العقدية الشركية، إلى إحداث خلل أخلاقي كبير في المجتمعات الخليجية، حيث أشاعوا الدعارة وشرب الخمر والمخدرات والسفور، وغيرها من الموبقات، مما أحدث عبئًا أمنيًّا كبيرًا على المسئولين عن الأمن الاجتماعي، وكذلك أعدوا أماكن موبوءة، (شقق مفروشة مثلاً) لممارسة الرذيلة والأعمال الفاضحة، فسربوا سافل الموبوءات وشنيع الممارسات إلى الشباب العربي المسلم، سواء من السكان الأصليين أو الوافدين، وقد ساعد على ذلك أن معظم هذه العمالة الوافدة هم من العزاب والعازبات.

٨- لا تكتفي بعض الجاليات غير الإسلامية في دول الخليج العربية بممارسات طقوسهم الشركية بحرية مطلقة، بل تمارس أيضًا الترويج والدعاية المعلنة لشركياتها، وخاصة أعمال التنصير؛ إذ يستغلون معابدهم وكنائسهم كمظلات يتحركون تحت ظلالها للوصول إلى مآربهم. والمقام لا يتسع هنا لسرد أمثال هذه الأنشطة المخربة للعقول والقلوب والأخلاق.

٤ – الوضع الطائفي

لا شك أن من أهم ما يكرّس الأمن الداخلي هو التجانس في الفهم العقدي بين المسلمين. ومعلوم أن هذا التجانس ليس على حالته المطلوبة بسبب مداومة اتساع الفجوة بين السنة والشيعة. إن الحوض الخليجي هو حوض سني في الجملة، ماعدا إيران حيث يبلغ السُّنة فيها حوالي ٣٠٪ إلى ٣٥٪ (وفي بعض الإحصاءات أكثر من ذلك)، وماعدا العراق حيث يبلغ السنة فيها حوالي ٥٠ إلى ٥٥٪، وكذا البحرين حيث يبلغ عدد السنة فيها حوالي ٤٠٪ (بحسب تقديرات سابقة)، أما عمان فيهيمن عليها المذهب الإباضي.

ومن المعلوم أنه لم يكن ثمة احتقان طائفي ظاهر بين السنة والشيعة الاثنى عشرية قبل قيام الثورة الإيرانية الخمينية عام ١٩٧٨م، والتي ما إن سيطرت على السلطة في إيران حتى رفعت شعار تصدير الثورة، فتلقفت ذلك مختلف فئات الشيعة في دول الخليج، وراحت تتحرك من خلال ضغوط سياسية تمارسها على حكوماتها؛ مستفيدة من الدعم السياسي الإيراني المعلن، ومن مختلف أنواع المساندات الدعوية والاقتصادية الشيعية التي تقدمها لها إيران. ولقد رفع من الروح المعنوية لشيعة الخليج أنهم باتوا يحكمون عددًا من الدول الإسلامية والعربية؛ حيث إن العراق وسوريا تحت الحكم الشيعي.

وإلى الآن فإن كلاً من السنة والشيعة في الدول الخليجية يتجنبان الاحتكاك الساخن فيما بينهما؛ تغليبًا

(٢) المصدر السابق.

للمصلحة العامة، إلا إن الشيعة في البحرين يقدحون الشرارة أحيانًا، لكن سرعان ما يسارع الحكماء إلى إطفائها قبل أن تؤدي إلى حريق هائل يستعصي على الإطفاء، خاصة وأن كثيرًا من المواقع على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، وكذا القنوات الفضائية تساهم في صب الزيت على النار؛ لأن كثيرًا من تلك المواقع والمحطات تتخذ منبرًا لسب صحابة النبي -صلى الله عليه وسلم- وخاصة أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما-، والقدح في أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- وليس ذلك مقبولاً لدى أهل السنة بحال من الأحوال، ولا يمكن السكوت عليه، فضلاً عن الخلاف معهم في الأصول قبل الفروع.

كل ذلك يجعل التحرك الدعوي الشيعي مزعزعًا ومزلزلاً للأمن في الحوض الخليجي. ولا بد من الإشارة إلى أن الشيعة في الدول العربية المطلة على الخليج العربي ينقسمون من حيث الأصول إلى قسمين: عرب وعجم، أي إيرانيون، وهؤلاء هم الذين يشكّلون رأس الرمح الإيراني في تلك الدول، فولاؤهم لإيران قلبًا وقالبًا. وأما الشيعة العرب فليس لديهم ميل قلبي شديد لإيران، لكنهم يستفيدون منها في هذه المرحلة؛ حيث يجمعهم الطريق والأصول العقدية .

٥ – الاستقرار الاقتصادي

إنه أحد عوامل الأمن في الحوض الخليجي. وفي الواقع ليس هناك استقرار اقتصادي، مما سبَّب هوة هائلة بين الأغنياء -وعددهم ليس كبيرًا- وبين متوسطي الدخل والفقراء، وهؤلاء هم الغالبية العظمى. إن الشعوب الخليجية جمعاء لا ترى أثرًا حقيقيًّا لثروتها النفطية على أوضاعها الاقتصادية؛ إذ إن أكثر الخليجيين مسحوقون تحت وطأة القروض للبنوك الربوية، وأغلب هذه القروض متعلقة بتوفير المسكن أو السيارة أو الأثاث.

إن ضعف الموارد الاقتصادية لهذه الشعوب أصبحت آثاره ظاهرة في عدم القدرة على تلبية الاحتياجات التعليمية والصحية والخدماتية التي من المفروض أن تضطلع بها الحكومات. ونظرًا لأن دول الخليج هي من أكثر الدول ثراء نفطيًّا والأموال المتدفقة عليها في كل دقيقة تعد بالمليارات، فإن الحسرة الشديدة تجتاح فؤاد كل فرد خليجي واقع تحت ثقل الأزمات التي ذكرتها، ولا يستطيع أن يعبر عن حسرته تلك إلا بضرب كف بكف !! وخاصة عندما يقرأ أن عائدات النفط المقدرة لدول الخليج لعام ٢٠٠٨م هي حوالي ٦٠٠ مليار دولار، وهي قيمة تصدير حوالي ١٦ مليون برميل يوميًّا [٣] .

مثال : عائدات النفط في المملكة العربية السعودية ارتفعت من ٦٠ مليار دولار عام ٢٠٠٠م إلى ١٥٢ مليار دولار عام ٢٠٠٧م.[٤]، كما أن الإنتاج النفطي في ازدياد وليس في تناقص، كما هو موضح في الجدول التالي [٥] :

مليون برميل يوميًّا		
الدولة	إنتاج ٢٠٠١م	إنتاج ٢٠٢٥م (المتوقع)
السعودية	١٠,٢	٢٢,٥
إيران	٣,٧	٤,٩
العراق	٢,٨	٦,٦
الإمارات العربية	٢,٧	٥,٢
الكويت	٢,٤	٥,٠
قطر	٠,٦	٠,٨

كما أن احتياطيات النفط الهائلة في هذا الحوض الخليجي تجعله محط الابتزاز العسكري الصليبي، كما هو حاصل الآن؛ حيث إن هذا الحوض مملوء بالجيوش الصليبية برًّا وبحرًا وجوًّا .

وقد صدق فينا حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها ..» الحديث [٦].

(٣) مجلة المجتمع ٢٠٠٨/٨/١٦م عن تقرير اقتصادي مَغنِيّ بالنفط.
(٤) مجلة نيوزويك ٢٠٠١/١١/٦م.
(٥) نشرة إدارة معلومات الطاقة، أبريل ٢٠٠٤م، عن كتاب: «حروب البترول الصليبية، عبد الحي يحيى زلوم، ص ١٨ .
(٦) رواه أحمد في المسند ٢٥٩/١٦ ح رقم ٢٢٢٩٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٦٨٣/٢ ح رقم ٩٥٨.

إن هـذا الاحتـلال إمـا أنه احتـلال صريـح كما في العـراق، أو مقنَّـع كما هو في بعض الـدول الأخرى. إن دول حلف الناتو -وفي مقدمتهم الولايات المتحدة - يسيل لعابهـا من الأرقام المهولة لاحتياطيات النفط في الحوض الخليجـي. فاحتياطيات نفط العراق تصل إلى ١١٢ مليار برميل، وفي السعودية تصل إلى ٢٦١ مليار برميل، مقابل ٢٢ مليار برميل فقط في الولايات المتحدة. وقد لجأ عدد كبير جدًّا من مواطني الخليج إلى التعامل في البورصات أمـلاً بتحسـن مدخولاتهم النقديـة، ولكنهـم أصيبوا بخيبـة أمـل عظيمة عندمـا تبخرت جميـع أموالهم التي اسـتقطعوها من قُوت عائلاتهم مـع الأزمة المالية العالمية الـتي أطاحت بالبنوك والبورصات وشـركات الأموال، وقادت العالم إلى كسـاد اقتصـادي مخيف؛ حيث دفع العـالم أجمع ثمنًـا باهظًا للتعامل الربـوي، وصدق الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ (البقرة : ٢٧٦).

إن الحكومـات في الحـوض الخليجـي لم تنتفـع من التدفقـات النقديـة الهائلة الـتي صاحبت ارتفاع أسـعار البـترول -حين بلغ حوالـي ١٤٧ دولارًا للبرميل- في البناء التنمـوي والتعزيز الاقتصادي، بل تم اسـتثمار معظمها في أمريكا والدول الغربية، وكانت النتيجة أن تبخرت معظـم تلك الأموال المدخرة على مدى سـنين في أسـبوع واحد فقط، فقد انخفضت قيمة الاستثمارات الكويتية في بضعـة أيـام إلى ٧٥ مليـار دولار بعـد أن كانت ٣٠٠ مليار دولار، أي خسـرت ٧٥٪ من قيمتها دفعة واحدة !! (هذا مثال، وعليه تقاس باقي دول الخليج).

إن مجلس التعاون الخليجي فشل -بعد حوالي ٢٥ عامًا من تأسيسـه- في انتشـال دوله من الأزمـات الاقتصادية المتلاحقة التي عصفت بشعوبه، فهو إلى الآن لم يتمكن من توحيد عملته، ولا من تيسير تنقلات أفراده بين دوله، ولم يفلـح في إيجاد توازن عسـكري مع إيـران للحفاظ علـى كينونتـه واقتصـاده، وأصبح البترول عبئًـا أمنيًّا عليـه بـدلاً من كونه رافـدًا لقوته، وتعزيزًا لاسـتقلال قراراتـه. إن علـى دول الحوض الخليجـي المحافظة على أموالهـا ولا تخضع للضغوط الأمريكية التي تطلب منها مليارات الدولارات لانتشـالها من ركستها الاقتصادية، كمـا عنونت لذلك «نيويورك تايمز» لمقال لها قالت فيه: إن «دول الخليـج تكتنـز الأمـوال ولا تنقـذ أمريـكا». وسـؤالنا : من يسـتطيع من الدول إنقاذ أمريكا بعد أن بلـغ عجز ميزانيتهـا في ٢٠٠٨م حوالي ٤٥٠ مليار دولار، ومـن المتوقع بلوغه ٧٥٠ مليار عـام ٢٠٠٩م، وبلغ العجز التجـاري ٦٥ مليـار دولار، وبعد بلوغ الديون المسـتحقة عليهـا حتـى ٢٠٠٨/١٠/١٢م ١٠,٢٧٤ تريليون دولار (أي حوالي عشرة آلاف مليار دولار !!).

إننا نخشـى حقيقة أن تسـتغل الولايـات المتحدة قوتها العسـكرية، سـواء الـتي في الخليج، أو خـارج الخليج لتضـع يدها علـى النفط الخليجـي من خلال سـيناريو حرب يخطط لها الآن في دهاليز الذين يتخذون القرارات الخطيرة، سـواء مـن جهة دولة الكيـان اليهودي أو من جهـة دهاقنـة البيـت الأبيـض، أو كلاهمـا معًـا وهو المتوقـع!! وقـد يحظى هـذا التصرف الأهـوج بمباركة مـن قِبَل كثير من دول العالم؛ باعتبار أن ذلك التصرف ربمـا يخفّف عنهـا حجم الأضرار التي حلّـت بها، والتي بلغت خسـائر بورصاتها حتى ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٨م حوالي ٢٥ ألـف مليـار دولار منـذ مطلع عـام ٢٠٠٨م؛ حيث إن اقتصادها معلق بالاقتصاد الأمريكي.

وبنـاء على ما ذكرنـا فإن دول الحـوض الخليجي لا تتمتع الآن بأي استقرار اقتصادي، وخاصة بعد أن دخل اقتصاد العالم في مرحلة الركود والكسـاد، واتجهت أسعار النفط نحو الانخفاض [٧].

٦ - توتر العلاقات مع إيران

مـن الطبيعـي أن تسـير العلاقـات بين الـدول العربية الخليجيـة وإيران على خط حبل مشـدود؛ وذلك بسـبب احتلالهـا لجـزر الإمارات الثـلاث، ولتشـييدها مفاعلاً نوويًّـا في بوشـهر، ولدعمهـا السياسـي للشـيعة معنويًّا وماديًّا، ولتدخلها المباشـر في جنوب العراق، ولتهديدها بإغـلاق مضيـق هرمـز، وضـرب المنشـآت الحيوية في دول الخليـج إذا اندلعـت الحرب مع أمريكا، ولتسـلل

(٧) بلغ سعر النفط عند كتابة هذه الدراسة في أكتوبر ٢٠٠٨م حوالي ٧٠ دولارًا، مسجلة انخفاضًا يعادل ٥٠٪ من سعره قبل حوالي شهر.

أعداد من الحرس الثوري إلى أراضي الدول الخليجية عن طريق التهريب، ولأمور أخرى. غير أن حكومات دول الخليج تقابل كل ذلك بسياسة تهدئة الأمور، وعدم توتير الأجواء، ومد الجسور الخضراء؛ بغية تلافي الاحتكاكات مع الحكومة الإيرانية لتوفير أكبر قدر من الأمن في الحوض الخليجي.

وقد أخبرت حكومات دول مجلس التعاون الخليجي حكومة إيران بأنها لن تسمح بشن القوات الأمريكية هجومًا عليها انطلاقًا من أراضيها، ولكن الحكومة الإيرانية لم تقابل ذلك بالمثل، فقد بادرت بإنشاء مكتبين تابعين للبحرية الإيرانية في جزيرة أبي موسى، أحدهما للإنقاذ البحري والثاني للسفن، وهذا مناقض لما سبق التوقيع والاتفاق عليه مع إمارة الشارقة عام ١٩٧١م بعد ممارسة السيادة الإيرانية على جزيرة أبي موسى.

إن المواقف الإيرانية التي أشرت إليها دفعت دول مجلس التعاون الخليجي إلى تعزيز قواها المسلحة بعقد صفقات السلاح مع مختلف الدول، وكان آخرها اعتزام البنتاجون بيع دولة الإمارات نظامًا دفاعيًّا مضادًّا للصواريخ من الجيل الأحدث بقيمة ٦,٩٥ مليار دولار [٨]، هذا فضلاً عن زيادة دعم قواتها المرابطة في قواعد ثابتة في بعض الدول الخليجية مثل الكويت وقطر والإمارات وعمان؛ حيث توفر هذه القواعد حماية أمريكية مباشرة لتلك الدول، مما يجعل الحكومة الإيرانية تحسب حسابات كثيرة ومعقدة قبل الإقدام على أيّ عمل عسكري ضدها.

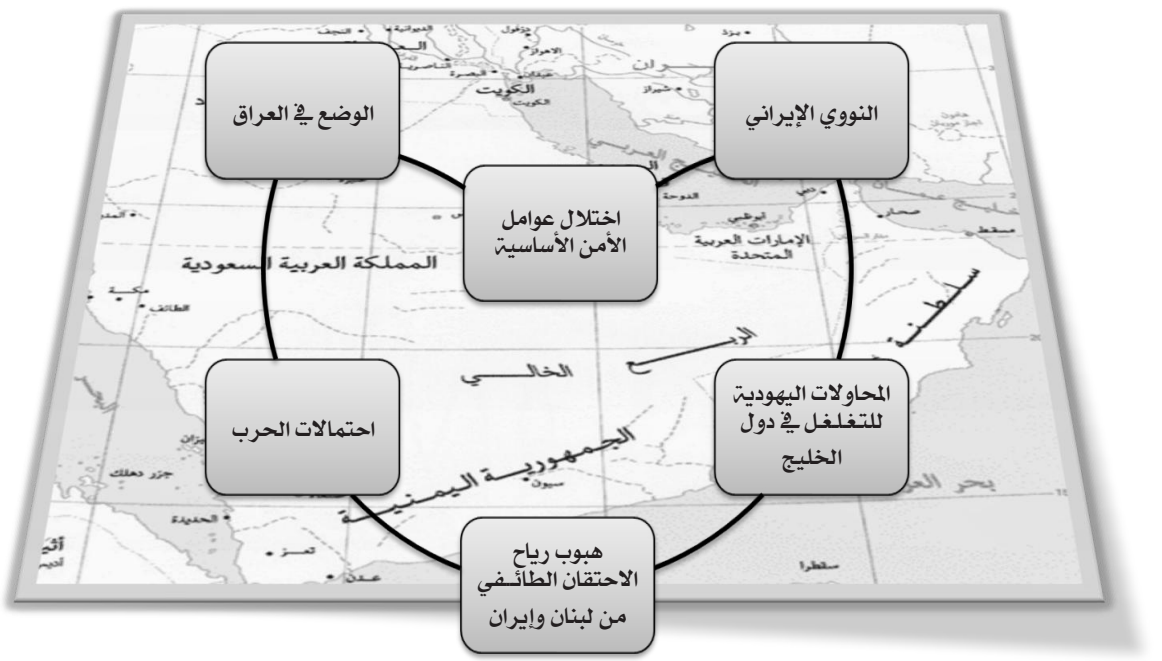

أبرز المخاطر التي تتهدد الأمن في الحوض الخليجي

تهديدات الأمن في الحوض الخليجي:

يتهدد الأمن في الحوض الخليجي مخاطر كثيرة أبرزها ما يلي:

أولاً: اختلال عوامل الأمن الأساسية:

وهي العوامل الستة التي ذكرتها سابقًا؛ إذ إن الخلل الجسيم واقع فيها كلها، ذلك أن جميع دول الخليج لم تكترث بالضابط الشامل للأمن السنني، فمعظمها

(٨) الوطن الكويتية، ١٤ رمضان ١٤٢٩ هـ، الموافق ١٤ سبتمبر ٢٠٠٨ م.

أخلت بمكوناته جميعًا دفعة واحدة، وبعضها الآخر أخلت بمعظمها. إن عدم الانضباط بتلك العوامل يجعل الانفلات الأمني من طبيعة مكونات الحركة اليومية للمجتمعات الخليجية، مما يجعلها على مدار الساعة حاملة لأخطار الحتّ الذاتي أو العقوبة الربانية الكاسحة، لذلك فإنني هنا أرفع هذا التحذير الخطير لكل حكومات الحوض الخليجي بأن تلتزم شرع ربها قولاً وعملاً قبل أن يحل بها ما حل بالأمم الأخرى، سواء ما كان سابقًا أو مما نراه يوميًّا في أيامنا الحاضرة في مختلف أصقاع العالم. هذا بالنسبة للأمن السنني، أما العوامل الباقية فهي منتهكة انتهاكات صارخة تزعزع الأمن الخليجي من قواعده .

ثانيًا : احتمالات الحرب:

إن طبول الحرب تدق بشدة وعنف في منطقة الحوض الخليجي، وأسباب ذلك هي التسابق على بسط النفوذ عليها، بين كل من إيران من جهة، والولايات المتحدة من جهة أخرى، وكذلك التسابق على التفوق العسكري المطلق بين كل من إيران من جهة، ودولة الكيان اليهودي من جهة أخرى، ولكلٍّ منطلقات وأهداف خاصة به.

أما إيران فإن منطلقها عقدي، ربطته بخروج المهدي، ولها جوانب دعوية تتعلق بنشر المذهب الشيعي، وأهدافها البعيدة تتمثل بتمكين الشيعة من الاستيلاء على بعض أنظمة الحكم في دول الخليج، وخاصة البحرين والكويت، وإقامة دولة مستقلة للشيعة في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، تمهيدًا لإقامة إمبراطورية شيعية لها امتداد على كامل الساحل الغربي للخليج العربي، بما فيه المطل عليه من جهة جنوب العراق. وستكون هذه الإمبراطورية من أغنى دول العالم؛ لكونها ستكون مالكة لمعظم احتياطي النفط في العالم ومتحكمة فيه، ولأجل ذلك فإن إيران في سباق مع الزمن لإتمام إنشاء مفاعلاتها النووية بقصد الحصول الذاتي على السلاح الذري (وإن كانت تعلن ليل نهار أن قصدها الاستخدامات السلمية للطاقة النووية)، ولتدعيم مختلف أنواع أسلحتها الصاروخية بعيدة المدى: البرية، والبحرية، والجوية، وتقوم قياداتها السياسية والدينية بإرسال تهديداتها المباشرة والمبطنة إلى الحكومات الخليجية وأمريكا ودولة الكيان اليهودي، وتضرب بعرض الحائط العقوبات الدولية المفروضة عليها، وتتجاهل الأمم المتحدة، ولا تلقي بالاً لتقارير الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وتقوم بإجراء المناورات الشاملة لقواتها المسلحة وللحرس الثوري، كما أنها توالي تزويد حزب الله اللبناني بالأسلحة، والتدريب المكثف على استعمالها، وتنسق سياسيًّا وعسكريًّا مع سوريا، وتسرب رجال حرسها الثوري إلى داخل دول الخليج، وتجوب قواربها المسلحة بالصواريخ (وأعدادها بالمئات) مياه الخليج شماله وجنوبه، بما في ذلك مضيق هرمز، وباختصار فإنها تستعد للحرب على أساس وقوعها في أية لحظة.

أما أمريكا فإنها تعتبر الحوض الخليجي من الجانب العربي واقعًا تحت نفوذها المطلق، ولن تسمح لأحد كائنًا من كان أن يهدد هذا النفوذ، أو يفكر في الحد منه أو إضعافه، وتعتبر الحوض الخليجي مركز العالم الاستراتيجي؛ بسبب مخزونه الهائل من النفط، ولكون الخليج العربي هو ممره إلى مختلف بقاع العالم، وأن أي تهديد له هو تهديد للمصالح الحيوية للولايات المتحدة، كما جاء ذلك على لسان الرئيس الأمريكي السابق نيكسون في كتابه «انتهزوا اللحظة».

إن الولايات المتحدة تعتقد أنها تمسك برقبة العالم من خلال سيطرتها على الخليج العربي، فإمدادات النفط لليابان ودول جنوب شرق آسيا وأوروبا تتحكم بها الولايات المتحدة من هذا الخليج، ولهذا السبب فإنها حشدت أساطيلها، واستنفرت مختلف قواعدها الجوية في أنحاء العالم استعدادًا لمحق أيّ تهديد لهذه المصالح من قبل إيران. ومن اللافت للموضوع أن المحافظين الجدد، وخاصة بوش، لهم نظرة دينية في هذه القضية تتعلق بظهور المسيح بعد الحرب مع إيران، تمامًا كما يعتقد أحمدي نجاد – الرئيس الإيراني – أن المهدي

سيظهر بعد هذه الحرب، وهذه مفارقة لاهويتة جديرة بالاهتمام !!

بناء على ما ذكرته؛ فإن أمريكا تستعد للحرب حقًّا في منطقة الخليج [٩] ولعلها قد خططت بالفعل للإجهاز على البنية التحتية الإيرانية، متحججة بالقضاء على المنشآت النووية الإيرانية التي تهدد نفوذها في الحوض الخليجي، بل والعراق أيضًا. وقد يعتقد البعض أن الانهيار المالي العالمي قد صرف الولايات المتحدة عن هذا التوجه؛ لأن الحرب لها كلفتها الاقتصادية الهائلة. وهذا صحيح في الجملة، لكن الضغوط اليهودية في داخل الدهاليز الأمريكية، والتي تجد لها تجاوبًا إيجابيًّا من بوش والمحافظين الجدد، قد تدفع بالولايات المتحدة لخوض هذه الحرب بصيغة تفيد أنها مكرهة على دخولها، وذلك من خلال إشعالها بواسطة دولة الكيان اليهودي فتهب أمريكا لنجدتها تفعيلاً لمعاهدة الدفاع الاستراتيجي الموقعة بينهما.

القيادة السياسية والعسكرية في دولة الكيان اليهودي ترى أن ضرب المنشآت النووية الإيرانية غير قابل للتأجيل، ولا بد من وقوعه قبل أن تتبدل الرئاسة في الولايات المتحدة في شهر يناير ٢٠٠٩م.

أما دولة الكيان اليهودي، فإنها ترى أن تمكُّن إيران من بسط نفوذها على الحوض الخليجي هو تهديد مباشر لها، وأن حصولها على السلاح النووي يخل بمعادلة التوازن في المنطقة لصالحها. وهذا يعني أن جميع المدن في دولة الكيان اليهودي ستكون تحت متناول أسلحتها، سواء المباشرة عن طريق الصواريخ الإيرانية بعيدة المدى، أو عن طريق الوكالة بواسطة حزب الله اللبناني أو سوريا. ولذلك فلا مناص لها من إجهاض التوجه النووي الإيراني؛ لتبقى كلمة الدولة اليهودية هي المتحكمة في منطقة الشرق الأوسط كله، وليس مجرد الحوض الخليجي. وبناء على ذلك فإن القيادة السياسية والعسكرية في دولة الكيان اليهودي ترى أن ضرب المنشآت النووية الإيرانية غير قابل للتأجيل، ولا بد من وقوعه قبل أن تتبدل الرئاسة في الولايات المتحدة في شهر يناير ٢٠٠٩م، مستفيدة من كونها ضامنة أن الرئاسة الأمريكية والمحافظين الجدد يؤيدونها في مسعاها الحالي، في حين أنها غير ضامنة لذلك بعد استلام الديمقراطيين الرئاسة. ضمن هذا التصور فإن دولة الكيان اليهودي استعدت للحرب من خلال قيامها بمناورات شاملة لكل القطاعات المدنية والعسكرية في أبريل ٢٠٠٨م، ومن خلال تزودها بنظام راداري أمريكي متطور T-FBX ومرفقاته؛ حيث قامت بنقله أكثر من ١٢ طائرة في ٢٠٠٨/٩/٢١م يرافقها ١٢٠ خبيرًا.

وذكرت صحيفة جيرو زاليم بوست اليهودية أن هذا الرادار الذي يمكنه رصد جسم بحجم كرة البيسبول من مسافة ٤٧٠٠ كلم سيسمح للصاروخ «آرو» اليهودي الصنع أن يعترض صاروخ «شهاب – ٣» الباليستي الإيراني في منتصف المسافة بعد إطلاقه من إيران بـ ١١ دقيقة، وكذلك وافق البنتاجون على تزويد دولة الكيان اليهودي بـ ٧٥ طائرة مقاتلة من طراز F 35، وهي أحدث المقاتلات الأمريكية على الإطلاق بقيمة إجمالية بلغت ١٥,٢ مليار دولار، كما أبلغت وزارة الدفاع الأمريكية الكونجرس بمشروع بيع الدولة اليهودية ألف قنبلة من طراز جي بي يو – ٣٩، وسلسلة من التجهيزات العسكرية بقيمة إجمالية تصل إلى ٧٧ مليون دولار.

وجميع هذه الصفقات معلنة نشرت تفاصيلها مختلف الصحف في العالم. ورغم هذه الصفقات الأمريكية لدولة الكيان اليهودي والخاصة بالوضع الاستراتيجي مع إيران؛ فإن الأخبار تتالت عن مزاولة أمريكا لضغوط منوعة عليها لمنعها من شن هجوم على إيران في الفترة المتبقية من عهد بوش، وقد يحصل ذلك أو لا يحصل، ولكن في كل الأحوال فإن دولة الكيان اليهودي لن تنتظر حتى تعلن إيران عن ولادة أول قنبلة نووية إيرانية، بل هي بالتأكيد ستقوم بما تعتقد أنه سيجهض هذه الأمنية الإيرانية قبل تحققها. إضافة إلى ذلك فإن المترسخ في الذهن اليهودي أن بناء الهيكل والذي سيكون على

(٩) رغم التوجه لافتتاح مكتب متابعة لمصالحها في طهران .

أنقاض هدم المسجد الأقصى مرتبط بحرب قبل ذلك، وأنه سيحدث (أي هدم المسجد الأقصى) أثناءها أو بعدها، وهذا هو الجانب اللاهوتي في المسألة.

وهكذا تبين لنا أن كلاً من إيران والولايات المتحدة ودولة الكيان اليهودي يسعون لإشعال هذه الحرب من منظور لاهوتي واستراتيجي يخص كلاً منهم على حدة، فهي حرب عجيبة يتفق الجميع أن مصلحته لا تتم إلا بإضرامها !!

ولكن إذا قامت الحرب فعلاً؛ فإن نتائج خطيرة ستترتب على ذلك، سواء أثناء الحرب أو بعد أن تضع أوزارها. وربما أشير هنا بسرعة إلى بعض تلك النتائج:

١- ستحاول أمريكا ودولة الكيان اليهودي تدمير كامل البنية التحتية الإيرانية وتدمير الحرس الثوري ومنشآته، وتمكين الجيش من الاستيلاء على الحكم أو تدميره إن لم يحقق هذا الهدف وهو إسقاط النظام الإيراني الحاكم.

ستؤدي هذه الحرب إذا نشبت إلى معاودة الارتفاع الحاد لأسعار النفط؛ بسبب وقف الإمدادات النفطية الخليجية، وكذا لوقوع الحرب في وقت الشتاء الأوروبي

٢- ستشن إيران هجمات مضادة واسعة باستخدام الصواريخ لتدمير قطع الأسطول الأمريكي في الخليج، وربما ضرب المنشآت النفطية في بعض دوله أو تتوسع لضرب المنشآت المدنية الأساسية كمحطات الكهرباء والمياه.

٣- ستشن إيران هجمات صاروخية مكثفة على دولة الكيان اليهودي، وستطلب من حزب الله في لبنان أن يساعدها في هذه المهمة، وإذا حصل ذلك فستقوم دولة الكيان اليهودي بقصف لبنان بشكل واسع وستدمر بنيته التحتية بالكامل، وربما أدى ذلك إلى اشتعال حرب أهلية فيه.

٤ - في الأغلب لن تكون سوريا في منجى من هذه الحرب.

٥ - ستقوم مظاهرات في جميع العالم الإسلامي مناصرة لإيران، إلا أن أشدها سيكون في البحرين؛ حيث الوضع فيها محتقن أصلاً، وسيقوم الشيعة في البحرين بأعمال مسلحة وأعمال تخريبية واسعة قد تقتضي طلب البحرين للمساعدة من الدول العربية والإسلامية.

٦ - سيغلق مضيق هرمز ويتوقف مرور السفن فيه، وسيؤدي ذلك إلى قطع إمدادات المواد الغذائية والاستهلاكية والإنشائية إلى كل من الكويت والبحرين وقطر وميناء الدمام؛ مما سينجم عنه ارتفاع شديد في الأسعار وشحّ كبير في تلك المواد، وكذلك ستتوقف الإمدادات النفطية بسبب الأعمال الحربية في الخليج، وكذا بسبب إغلاق مضيق هرمز الذي ستقوم إيران بتلغيمه وإغراق بعض السفن فيه، إن تمكنت من ذلك.

٧- سيقوم الوافدون وخاصة من الجاليات الهندية والباكستانية والبنغالية والفلبينية بهجرة واسعة عودة لأوطانهم خوفًا من الحرب وتبعاتها، ونظرًا لأن خطوط النقل الجوية ستتوقف بسبب الحرب؛ فإن الهجرة ستتم عن طريق البر عبر المملكة العربية السعودية.

وإذا طالت الحرب المناطق البترولية في المنطقة الشرقية من المملكة السعودية؛ فإن هجرة مماثلة ستحدث باتجاه الرياض والمنطقة الغربية. وسيؤدي ذلك إلى اضطراب في الإمدادات الغذائية والخدمات الصحية، وارتفاع لأسعار العقار في السعودية (ماعدا المنطقة الشرقية)، يقابله انخفاض لأسعار العقار في الكويت وقطر والبحرين لوجود الفائض العقاري وانخفاض الاستخدام السكني.

٨- على المستوى العالمي سيقف حلف الناتو داعمًا لأمريكا ودولة الكيان اليهودي سياسيًّا ولوجستيًّا وحربيًّا. لكن ستقف روسيا سياسيًّا مع إيران، لكنها إذا دعمتها عسكريًّا؛ فإن ذلك سيشكل خطورة بالغة على السلام العالمي، ومثل ذلك يقال بالنسبة للصين.

٩- ستؤدي هذه الحرب إذا نشبت إلى معاودة الارتفاع الحاد لأسعار النفط؛ بسبب وقف الإمدادات النفطية الخليجية، وكذا لوقوع الحرب في وقت الشتاء الأوروبي.

١٠- ستؤدي هذه الحرب إلى وقف خطط التنمية

في بعض الدول الخليجية، أو في كلها، خاصة إذا استخدمت الولايات المتحدة القنابل النووية المحدودة أو القنابل النيوترونية.

إن الآثار الوخيمة التي ذكرتها هي التي تجعل الولايات المتحدة مترددة في خوض هذه الحرب المكلفة على جميع المستويات، ولكن إن لم تخضها فإن الحوض الخليجي بما فيه من احتياطيات النفط سيقع حتمًا تحت سطوة النفوذ الإيراني، وهذا سيقوّض المصالح الأمريكية الحيوية في المنطقة، فماذا ستختار الولايات المتحدة، الحرب أو الخروج من الخليج، أم تسعى لتسوية بينهما ؟!

ثالثًا: الوضع في العراق

يعتبر الوضع في العراق من مهددات أمن الحوض الخليجي لأسباب واقعية واستراتيجية، ومن أبرزها :

١- من الناحية العقدية؛ فإن الفئة المسيطرة على دفة الحكم، حكومة وبرلمانًا وجيشًا وشرطة ومخابرات، هم الشيعة .. ويعتبر رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي من متطرفيهم، وهو رئيس حزب الدعوة سابقًا، ويستخدم المرجعية الشيعية الدينية (السيستاني) كغطاء لتعميق الهيمنة الشيعية سياسيًّا وأمنيًّا في العراق بدعم قوي من أمريكا. ومن هذه الوجهة فإن العراق اليوم موظف كلاعب أساسي في التجاذب السني الشيعي. وعندما ترى دول الخليج العربي السنية كيف يوجه النظام العراقي الشيعي إمكانات الدولة لمحاربة السنة في العراق وقمعهم، وإقصائهم بالكلية عن مواقع التأثير وخاصة العسكرية والأمنية؛ فإن هذه الدول تتوجس خيفة من هذا النظام الذي سيقوم لاحقًا، بلا شك، بنقل هذه الممارسات إلى داخل دول الخليج، معتمدًا على الشيعة فيها، سواء كانوا أقلية كما في المملكة العربية السعودية أو أكثرية كما في البحرين .

٢- إن القوات الأمريكية التي تحتل العراق الآن تعتبرها دول الخليج صمام أمان وكابح واقعي ضد احتمال فقدان التوازن الاستراتيجي في المنطقة. وسيختل هذا التوازن إذا انسحبت هذه القوات من العراق. وهذا الانسحاب لا يزال أمرًا محتملاً، لكنه إن حصل فإنه سيكون انسحابًا جزئيًّا وليس كليًّا، ولا تزال هذه النقطة وأشياء أخرى محل خلاف في الاتفاقية الأمنية بين الحكومة العراقية وأمريكا .

٣- الوضع الحالي في العراق هو وضع تقسيمي مغطى بكساء الفيدرالية. ومن الواضح أن جنوب العراق يشكل نواة دولة شيعية صافية. ويتطلع الشيعة إلى ضم الكويت إليهم ولو بعد حين، ويقومون بين الفينة والأخرى بتسخين الأوضاع الحدودية من خلال المتسللين، أو التحرش بالمواقع الكويتية الحدودية. إن دولة الكويت تتوجس خيفة من هذه المخططات التي تشكل عامل إقلاق أمني لها.

٤- قد تصبح الكويت مستقبلاً محلاً للتنافس بين شيعة إيران وشيعة العراق؛ حيث إن الخلاف العقدي بينهما معروف، وشيعة العراق لا يحبون شيعة إيران؛ ولذلك فإنهم بعد استتباب الأمر السياسي لصالحهم؛ فإنهم سيعملون عل تقليص الدور الإيراني في العراق. وقد جاء في مقابلة لمجلة المجتمع (عدد : ١٨٠٤ تاريخ ٢٠٠٨/٥/٣١م) قول المرجع الشيعي العراقي الشيخ جواد الخالصي بشأن تدخل إيران في العراق: إنه «غير محبب بالنسبة لنا أن تلعب إيران هذا الدور، وأعتبر أن الدور الإيراني لا يتسم بالحكمة والإيجابية، على الأقل في بعض جوانبه».

ونشرت صحيفة القبس الكويتية في ١٨ شوال ١٤٢٩ هـ الموافق ٢٠٠٨/١٠/١٧م أن «صحفًا عراقية رسمية مثل الاتحاد والعراقية، والدستور والجديد وغيرها قد كرَّست جهودها الإعلامية لنشر تقارير وإعلانات ضد إيران، وحتى إن البصرة ومدنًا أخرى شهدت ندوات واجتماعات ومؤتمرات لإدانة ما وُصف بتدخل طهران الشامل في شئون العراق، داعية لمقاطعة شراء السلع الإيرانية ومنع الإيرانيين من دخول العراق، وعلقت لافتات كبيرة في بغداد ومدن أخرى كتب عليها «احذروا من التدخل الإيراني» و«الإيرانيون ليسوا شيعة بل صفويين» و «الإيرانيون أسوأ من الأمريكيين والقاعدة» !!. وبما

أن الشيعة في الكويت هم من الإيرانيين والعرب؛ فإن ذلك قد يظهر فيها على السطح لاحقًا ، ومثله يقال فيما يخص البحرين .

٥- نشر النائب الكويتي ناصر فهد الدويلة -رئيس المركز الاستراتيجي للدراسات وإدارة المشاريع والخطط- دراسة مطولة على أربع حلقات أبرز فيها الدور المتوقع لإيران في احتلال الكويت في الحرب التي يمكن أن تنشب في المنطقة. (الوطن الكويتية ٢٧ – ٣١ يوليو ٢٠٠٨م). وفي الجملة فإن الوضع في العراق غير مرشح للاستقرار في الزمن المنظور، مما يترك انعكاساته السلبية على الوضع الأمني في مجمل الحوض الخليجي .

رابعًا : هبوب رياح الاحتقان الطائفي من لبنان وإيران

إن الاحتقان الطائفي السني الشيعي في لبنان سينتقل حتمًا إلى دول الخليج لوجود عدد كبير من اللبنانيين فيها. ويقوم حزب الله اللبناني بمد الشيعة في دول الخليج، سواء من اللبنانيين الشيعة أو المواطنين الشيعة بجميع ما يحتاجونه لإنشاء كيانات خاصة بهم. وهذه الإمدادات تتضمن الجانب المالي والكوادر الدعوية والإدارية والمهنية والتدريبية والإعلامية ، بما يمكّنهم من تفعيل الحسينيات، وافتتاح المدارس والمعاهد والجامعات والنوادي الرياضية والمنتديات الفكرية والديوانيات، وإنشاء الشركات والمؤسسات الاقتصادية، والمشاركة في الوزارات والبرلمانات ومجالس الشورى، وافتتاح المطابع، وإنشاء الصحف والقنوات الفضائية والمواقع على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، وأنشطة أخرى كثيرة، كل ذلك بمعونة ومساندة ومساعدة شاملة وحثيثة ورفيعة المستوى من قبل حزب الله اللبناني، الذي بالإضافة لما ذكرت فإنه ينشئ في دول الخليج أحزابًا (غير معلنة) باسمه أي باسم حزب الله.

وأما من جهة إيران فإن الاضطهاد الشديد الذي يتعرض له أهل السنة هناك فمعلوم ومعروف، وإن العاصمة الإيرانية طهران والتي يبلغ عدد سكانها فوق الخمسة عشر مليونًا ليس فيها مسجد واحد لأهل السنة. وما أكثر التقارير التي نُشرت عن الحملات الوحشية التي تقوم بها الحكومة الإيرانية والحرس الثوري على أهل السنة أينما حلوا. وقد ذكر تقرير للجارديان كتبه بيتر تاتشيل، ونشر في صحيفة الوطن الكويتية في ٢٣ شوال ١٤٢٨ هـ الموافق ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٨م أن سلطات الأمن في إيران قامت بحملة اعتقالات واسعة في صفوف السنة في بلوشستان، وفي التاسع من أغسطس ٢٠٠٨م ألقت السلطات الإيرانية القبض على زعيم سني كبير هو مولاي أحمد ناروي؛ لأنه يعمل رئيس تحرير لموقع ديني للسنة على الإنترنت، وكذا على مساعده محمد يوسف إسماعيل زاهي.

وفي السابع والعشرين من أغسطس ٢٠٠٨م تعرض مسجد أبي حنيفة الذي يضم أيضًا مدرسة دينية في مدينة زابول إلى الهجوم، وإتلاف كتبه ومخطوطاته التي لا تقدر بثمن، ثم جرى هدمه واعتقال المسئولين عن خدمته، وكذلك على طلاب المدرسة الدينية ولم يعلم أين هم الآن !! وقبل ذلك ذكر عضو البرلمان الإيراني علي شهرياري أن هناك ٧٠٠ شخصًا ينتظرون الإعدام في إقليمي سيستان وبلوشستان.

أقول: إن نشر هذه التقارير تدل على حقيقة ما ينتظر أهل الخليج العربي لو أن إيران انفردت ببسط نفوذها على الحوض الخليجي.

خامسًا : النووي الإيراني

في ٢٠٠٨/٧/٢٤م أعرب رئيس وزراء الدولة اليهودية أيهود أولمرت عن اعتقاده بأن إيران ستحصل على جميع العناصر والمركبات الضرورية لبناء قنبلة نووية في نهاية عام ٢٠٠٩م أو بعد عامين، فسارع الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد بعد يومين إلى تأكيد مضمون قول أولمرت بطريقته الخاصة عندما أعلن أن لدى بلاده ما بين ٥ إلى ٦ آلاف جهاز طرد مركزي لتخصيب اليورانيوم، ولكن للأغراض السلمية، وأن على القوى الكبرى (وهي الدول الست صاحبة العقوبات

على إيران، وهي أمريكا وبريطانيا، وفرنسا وألمانيا، وروسيا والصين) ألا تتصور بأن إيران سوف تركع لمطالبها. وشرعت إيران ببناء مفاعل نووي آخر في مدينة آراك إضافة لمفاعل بوشهر، وكلاهما يتمتع بالقدرة على توفير الوقود النووي وهو البلوتونيوم الذي لا بد منه لتصنيع الأسلحة النووية.

هذه المواقف المتشددة جعلت الولايات المتحدة تشارك عن طريق مساعد وزير خارجيتها وليام بيرنز في حضور اجتماع جنيف الذي عقده منسق الشئون الخارجية والأمنية الأعلى في الاتحاد الأوروبي خافيير سولانا بتاريخ ١٩ يوليو ٢٠٠٨م مترأسًا الوفد الأوروبي مع مسئول الملف الإيراني النووي سعيد جليلي. الموقف الإيراني واصل تصلبه وعدم تراجعه، وأعلن وزير الخارجية الإيراني منوشهر متكي أن التحدث عن مهلة للرد على الحوافز الأوروبية لا معنى له بالنسبة لإيران.

وقال غاري سيك الخبير في الشئون الإيرانية: إن سياسة الولايات المتحدة الرامية إلى عزل إيران وتشديد العقوبات لن تؤدي إلى حمل طهران على وقف تخصيب اليورانيوم. فردت دانا بيرينو المتحدثة باسم البيت الأبيض بأنه في غياب رد إيجابي على العرض الكريم الذي قدمناه في حزمتنا الموسعة نعتقد أنه ليس أمام الحلفاء خيار سوى إجراءات جديدة ستكون عقابية. وأكد جونزو جاليجوس الناطق باسم الخارجية الأمريكية بتاريخ ٦ أغسطس ٢٠٠٨م أن ممثلي الدول الست اتفقوا على أنه لا مناص من السير في خيارات أخرى مع إيران .. وشنع عبدالله بشارة على موقف إيران وقال في مقال له في صحيفة الوطن الكويتية بتاريخ ٢٠٠٨/٨/١١م : «تتصور إيران أن دبلوماسية التمييع توفر لها الاختراقات في تماسك الموقف العالمي».

ومن فيينا دعا مدير عام الوكالة الدولية للطاقة الذرية الدكتور محمد البرادعي إيران بتاريخ ٢٠٠٨/٩/٢٣م إلى الرد على الادعاءات حول قيامها بدراسات لإنتاج رأس حربي نووي، خاصة وأن إيران ردت على المجتمع الدولي بإجراء سلسلة كبيرة من المناورات العسكرية كان أضخمها بتاريخ ٢٠٠٨/٩/١٥م، ثم بتاريخ ١٠/١٥ /٢٠٠٨م في جميع أنحاء إيران شارك فيها السلاح الجوي، وأخرى لقوات التعبئة الشعبية (الباسيج) بتاريخ ٢١ أكتوبر ٢٠٠٨م لاستعراض الجاهزية الدفاعية والعتادية الشاملة لقوات التعبئة وزيادة القدرة القتالية. وهذا ما دفع نتالي جولد رينع -من «برنامج دراسات الأمن» في جامعة جورج تاون بواشنطن- إلى أن تقول معلقة على مجمل الأنشطة الإيرانية: إن «هذا الأمر ينطوي على مخاطر كبيرة جدًّا، مما جعلني أشعر بالدهشة والقلق من تحرك الإيرانيين في هذا الاتجاه، لاسيما أن مخاطر الصراع كبيرة جدًّا على نحو غير مقبول. (ذكر ذلك سكوت بيترسن عن كريستيان ساينس مونيتو في دراسة ترجمتها الوطن الكويتية بتاريخ ١٨ سبتمبر ٢٠٠٨م).

لقد بات الوضع خطيرًا جدًّا، فقد عرضت الوكالة الدولية للطاقة الذرية في ١٥ سبتمبر ٢٠٠٨م وثائق وصورًا تشير إلى أن إيران حاولت سرًّا تعديل الرأس المخروطي لصاروخ يستوعب قنبلة نووية.

لقد بات الوضع خطيرًا جدًّا، فقد عرضت الوكالة الدولية للطاقة الذرية في ١٥ سبتمبر ٢٠٠٨م وثائق وصورًا تشير إلى أن إيران حاولت سرًّا تعديل الرأس المخروطي لصاروخ يستوعب قنبلة نووية. وأصبح بوسعها تصنيع المواد اللازمة لإنتاج قنبلتين نوويتين خلال فترة تتراوح بين ١٢ و ١٨ شهرًا بحسب ما صرح به الخبير النووي د. جاك كارافيلي مستشار الرئيس الأمريكي السابق كلينتون (صحيفة الصوت ٢٠٠٨/١٠/٢٣م)، وتزامن ذلك مع ما ذكرته النيويورك تايمز من أن عالمًا روسيًّا يعمل لحسابه الخاص قد ساعد إيران على إجراء اختبارات معقدة حول عملية تشغيل سلاح نووي (القبس ٢٠٠٨/١٠/١١م).

إن هذا الإصرار الإيراني على المضي قدمًا في المشروع النووي هو الذي دفع كيسنجر عندما سأله روبرت ساتلوف المدير التنفيذي لمعهد واشنطن لشئون الشرق الأوسط : «ما التحدي الأكبر الذي تواجهه أمريكا

اليوم؟» إلى الإجابة بقوله : «إنه الدور الإيراني، وانتشار السلاح النووي، وانعكاسات ذلك على الإرهاب الجهادي .. إن انتشار الأسلحة النووية سوف يلحق بالبشرية كارثة كبرى إن لم يتم احتواء هذا الخطر .. وإن منع انتشار الأسلحة النووية الآن مسألة لا بد منها مهما كلف الأمر» (الوطن الكويتية ٢٠٠٨/١٠/١٨م).

إن الدول الخليجية على كل حال ستكون ضحية هذا الوضع الخطر الذي عبر عنه مدير مركز الدراسات الاستراتيجية في الكويت سامي الفرج بقوله: «إن عواقب امتلاك إيران للأسلحة النووية ستكون أسوأ من عواقب الهجوم عليها» (صحيفة الدار ٢٠٠٨/٧/٢٨م).

تسعى دولة الكيان اليهودي إلى التغلغل في مختلف القطاعات العسكرية والتجارية والإعلامية والرياضية في الدول الخليجية.

سادسًا : المحاولات اليهودية للتغلغل في دول الخليج

تسعى دولة الكيان اليهودي إلى التغلغل في مختلف القطاعات العسكرية والتجارية والإعلامية والرياضية في الدول الخليجية. وهنا نقف عند بعض المحطات:

تم فتح مكتب تمثيل تجاري للدولة اليهودية في كل من قطر وعمان .
مثلت لاعبة التنس شحار بيير دولة الكيان اليهودي في بطولة قطر للسيدات في ٢٠٠٨/٢/١٩م .

حضرت وزيرة خارجية دولة الكيان اليهودي تسيبي ليفني «منتدى الدوحة الثامن للديمقراطية والتنمية والتجارة الحرة» بتاريخ ٢٠٠٨/٤/١٣م، وذلك بدعوة من أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني؛ حيث حثت الوزيرة الدول العربية على إقامة علاقات مع دولتها، والتقت الوزيرة في المؤتمر بوزير الدولة العماني للشئون الخارجية يوسف بن علوي، ورئيس الوزراء القطري الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني .

قال تلفزيون دولة العدو: إنها طلبت من قطر دراسة بيعها الغاز الطبيعي المسال في صفقة تبلغ قيمتها ١١,٤ مليار دولار، وقد تساعد في تحسين الروابط مع العالم العربي .

نقلت معظم الصحف العربية ما ادّعته صحيفة هآرتس اليهودية في عددها المؤرخ ٢٠٠٨/٩/١٦م من أن العشرات من الجنرالات المتقاعدين من الذين سبق أن تبوؤوا مواقع حساسة وهامة في أجهزة الموساد وجهاز المخابرات الشاباك وهيئة أركان الجيش اليهودي يديرون ويعملون في عدد من الشركات في دول الخليج، فضلاً عن مساهمة شركات عسكرية يهودية بدور واسع في تلك الدول، وأكدت الصحيفة أن الجنرالات يقومون بتقديم إرشادات واستشارات أمنية للأجهزة الأمنية الخليجية. وأن الشركة الدولية AGT السويسرية التي أسسها ويديرها رجل الأعمال اليهودي الأمريكي ماتي كوخافي فازت مؤخرًا بعقد تصل قيمته إلى مئات ملايين الدولارات لبناء مشروع تابع للأمن الداخلي في دولة خليجية. وقد نفت الدول الخليجية هذه الأخبار ..

في الكويت أصدر أمين عام جماعة أنصار الشورى والسلام الدكتور أحمد عبد العزيز المزيني بيانًا نشر في الصحافة الكويتية بتاريخ ٢٠٠٨/٩/٢٧م، ومما قال فيه: «إن إسرائيل لن تعيش أكثر من ١٥٠ سنة بإذن الله – لذا علينا أن نستفيد من أبناء العم بالمعرفة والتكنولوجيا والعلم الذي يملكونه»، ثم أورد حديث «ستتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها .. ».

ثم قال : «ونفهم من هذا الحديث أن رسولنا -عليه الصلاة والسلام- يدعونا إلى التفاهم والحوار، وحسن المعاملة مع أكلة القصعة الذين هم إسرائيل وأمريكا والاتحاد الأوروبي، وروسيا وكندا وأستراليا».

ثم قال: «بالنسبة للسودان والصومال وإثيوبيا وإريتريا وجيبوتي، على قادة هذه البلاد أن يتحدوا ويتعاونوا مع أكلة القصعة (إسرائيل وأمريكا)، وبذلك تحل مشاكلهم .. ». وهذا الخبر غني عن التعليق .

المحددات العقدية والاستراتيجية لأمن الحوض الخليجي:

ذكـرت في هذه الدراسـة بعضًا من تلـك المحددات، وأخص منها ما يلي :

١- الالتـزام بتطبيـق أحكام الشـريعة الإسـلامية، والنص على ذلك في جميع الدساتير الخليجية .

٢- تنقيـة الخليج من الوافدين غير المسـلمين، ممن لا حاجة ماسّة لخدماتهم .

٣- دعـم المؤسسـات الخيرية والدعوية وتيسـير سـبل انتشارها .

٤- تسـهيل افتتاح البنوك الإسلامية، وإغلاق البنوك الربويـة، وكذلك تشـجيع وتيسـير افتتاح المؤسسـات والشـركات الإسـلامية العاملـة في كافـة المجـالات الإنتاجية والخدماتية .

٥- أسـلمة التعليم، وذلك بتنقية المناهج الدراسية من الأدران العقدية الشـركية والنهـوض بالتعليم في كافة مسـتوياته على أحسـن مـا أفرزتـه التقنيـات التعليمية الحديثة .

٦- إدخال المفاهيم العقدية الإسـلامية في المؤسسـات العسكرية، واعتبارها الأساس الذي تنتظم فوق قواعده أركان البناء العسكري .

٧- التأكيد على سـلامة البنيـة المدنية الاجتماعية، وذلك برفع الظلم وإعادة النظر في التركيبة السكانية، وبصون الحقوق المدنية والإنسـانية وفق مبادئ الشـريعة الإسلامية وبأسـلمة السـياحة، وبتطبيق قواعد العدالة والمسـاواة في إطـار أداء الحقوق والقيـام بالواجبات بما جاء مكفولاً ومفصلاً في الشريعة الغراء .

٨- توجيـه رءوس الأمـوال الإسـلامية الخليجية نحو الاستثمار في البلاد الإسلامية ليعود مردودها على الأمة الإسلامية جمعاء .

٩- إخضـاع الإعـلام وأجهزتـه للقواعـد الشـرعية، وتنقيتـه ممـا فيه من الإسـفاف والانحـراف، وتوظيفه لصالح نهضة الشعوب الخليجية؛ لتتمكن من المشاركة الهادفة والمساهمة البناءة في إعادة النهوض بهذه الأمة.

١٠- تحديـد العلاقـات مـع الـدول الأجنبية بحسـب مواقفها من الدين الإسلامي وأهله.

١١- تصفية الحوض الخليجي من الجيوش الأجنبية .

١٢- المحافظة على الثروة النفطية والغازية، وتوجيهها بمـا يعـود بالنفع والمصلحة على شـعوب الخليـج العربي والشعوب الإسلامية كلها.

فتلك الضوابط الاثنتي عشـرة من المحـددات العقدية والاسـتراتيجية الـتي أراهـا ضروريـة لصيانـة الأمن في الحوض الخليجي .

وصلـى الله على نبينا محمـد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

معلومات إضافية

الإنفاق الأمني لدول مجلس التعاون الخليجي:

تسلمت دول مجلس التعاون الخليجي أسلحة متنوعة ومتعددة المصادر من عام ١٩٩٧م إلى عام ٢٠٠٦م بقيمة بلغت نحو ٢١,٥٣٧ مليار دولار، وكانت مصادرها حسب الترتيب التالي: الاتحاد الأوروبي ١٠,٥٧٦ مليار دولار، الولايات المتحدة ٩,٩٧٢ مليار دولار، روسيا ٤٠٤ مليون دولار، الصين ٨٩ مليون دولار، ودول أخرى ٤٩٦ مليون دولار.

دولة الإمارات العربية المتحدة

وقّعت الإمارات في فبراير ٢٠٠٧م مذكرة تفاهم مع شركة إي. أيه. دي. إس (إيادس) الأوروبية لشراء ثلاث طائرات من نوع إيرباص (A-380) لأغراض التزويد الجوي بالوقود، كما وقعت عقدًا مع شركة رايثيون الأمريكية، وشركة أبو ظبي لصناعة السفن (ADSB) لشراء سبعة أنظمة لإطلاق الصواريخ الموجهة (ذات الحركة الدائرية لجسم الصاروخ) بقيمة ٧٦,٥ مليون دولار، والتي سيجري تركيبها على ست فرقاطات إماراتية من نوع (بينونة)، وتعتبر هذه الصواريخ منظومة دفاعية مضادة لتهديدات صواريخ (كروز) والأهداف الجوية وزوارق السطح، وكان من المقرر أن يبدأ تسليمها في ديسمبر عام ٢٠٠٧م.

كما أوصت الإمارات على ٩٠٠ صاروخ جو - أرض من نوع (هيلفاير ٢ لونغ بو) وعلى ثلاثمائة رأس صاروخ انشطاري، بقيمة ٤٢٨ مليون دولار.

وحول صفقة الصواريخ أرض- جو، ومدفعية مقاومة الطائرات، لأغراض الدفاع الجوي قصير المدى التي وقعت مع روسيا، وهي من نوع بانتسير (Pantsir – s١) ذكرت مصادر دفاعية عالمية في ٣٠ أكتوبر٢٠٠٧م، أن الإمارات قد لا تتسلم سوى نظامين حتى نهاية عام ٢٠٠٧م، من أصل ٥٠ نظامًا، علمًا بأن خطة التسليم الأولية تقضي بأن تتسلم ١٢ نظامًا في عام٢٠٠٧ م، و ٢٤ نظامًا في عام٢٠٠٨ م، و ١٤ نظامًا في عام ٢٠٠٩ م، وذلك بقيمة تبلغ حوالي ٣ مليارات دولار، وربما حصل التأخير بسبب التجارب التي أجريت على النموذج الأول الذي تم تصنيعه آنفًا ثم تسليمه في أواخر عام ٢٠٠٦م.

ومن المتوقع أن تحصل الإمارات من روسيا أيضًا على قطع احتياطية لصواريخ أرض – جو المستخدمة لديها من نوع (سام- ١٨ إيغلا) وآليات القتال المدرعة للمشاة من نوع (بي.إم. بيه)، وأعمال صيانة وتطوير على كلا النظامين.

مملكة البحرين:

توجهت البحرين في يونيو ٢٠٠٧م لشراء تسع طائرات عمودية من نوع بلاك هوك (Sikorsky UH-60 M) من فائض الجيش الأمريكي عن طريق برنامج المبيعات العسكرية، ويستخدم هذا النوع من الطائرات للقيام بمهام البحث والإنقاذ المسلح، وذلك بقيمة ٢٠٤ ملايين دولار. وذكرت مصادر أجنبية أن وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) وافقت على بيع البحرين ست طائرات عمودية من نوع بيل (Bell – 412) لأغراض البحث والإنقاذ بقيمة ١٦٠ مليون دولار.

المملكة العربية السعودية

عقدت السعودية صفقة لشراء ٧٢ طائرة قتال وهجوم أرضي حديثة جدًّا من نوع (تايفون يوروفايتر) البريطانية (FGA Eurofighter Typhoon) التي تعاقدت عليها المملكة في نهاية عام ٢٠٠٥ م، على أن يبدأ التسليم عام ٢٠٠٨ م، وتبلغ قيمة الصفقة ١٣ مليار دولار شاملة الأسلحة وقطع الغيار والإسناد الفني والتدريب.

كما ناقشت فرنسا والسعودية ما يتعلق باحتمال شراء ٤٨ طائرة مقاتلة من نوع (رافال) وست فرقاطات متعددة الوظائف، ومن ست إلى ثماني غواصات، وعدد من دبابات (لكلير).

وذكر مصدر إعلامي دولي أن عقود الأسلحة الفرنسية المحتملة قد تشمل طائرات التموين (التزويد) الجوي للوقود، وفرقاطات وطائرات عمودية، بالإضافة إلى قمرين صناعيين للمراقبة، بالاشتراك بين كل من السعودية والإمارات وقطر.

كما حصلت المملكة على أحدث الأنظمة الصاروخية وقذائف أرض – جو الذكية والموجهة بالأقمار الصناعية من نوع (JDAM) الأمريكية الصنع (يفترض أنه بدأ تسليمها خلال النصف الثاني من عام ٢٠٠٧م).

وذكرت مصادر دفاعية عالمية أن السعودية تتوجه نحو شراء ١٥٠ طائرة عمودية روسية الصنع، هجومية من نوع (مي- (٣٥، ولأغراض النقل من نوع (مي - ٨) و (مي - ١٧)، وذلك بمبلغ ٢,٢ مليار دولار.

كما ذكرت مصادر إعلامية في أكتوبر ٢٠٠٧م أن السعودية عملت على شراء ٦١ مدرعة خفيفة و٥٠ مدرعة من نوع (همفي) الأمريكية، بالإضافة إلى صواريخ ورشاشات ومناظير للرؤية الليلية بقيمة ٦٣١ مليون دولار.

وفي مجال التطوير والتحديث، فازت شركة بوينج الأمريكية وشركة السلام السعودية بعقد تطوير خمس طائرات سعودية للقيادة والسيطرة من نوع (أواكس) لتركيب نظام (الرابط ١٦) للبيانات والمعلومات (Data Link-16) وهو نظام توزيع معلومات متعدد الوظائف، وذلك بقيمة ٤٩,٢ مليون دولار.

سلطنة عُمان:

من المفترض أن تكون قد وصلت إلى عُمان أول طائرة عمودية من نوع يوروكوبتر هولندية (NH-90 TTH) في يوليو ٢٠٠٧م لتتم تجربتها واختبارها في طقس حار وبيئة صحراوية وأن تكون قد تسلمت في عام ٢٠٠٨ م طائرتين من النوع نفسه.

ووقعت عُمان اتفاقية مع شركة (في تي) البريطاني في ١٥ يناير ٢٠٠٧م لشراء ثلاث سفن حربية (فرقاطات) من خلال مشروع (خريف) بهدف تحديث وتطوير وتأهيل القوة البحرية العمانية، وبدأت مرحلة الإنتاج للسفينة الأولى ببريطانيا في ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٧م.

وفي ٢٧ يناير ٢٠٠٧م ، تم توقيع عقد شراء لطائرتي نقل عسكري من نوع إيرباص (A-320-300).

دولة قطر

لم يذكر كتاب التوازن العسكري عام ٢٠٠٧م الصادر عن معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن أي معلومات عن صفقات السلاح القطرية ومواعيد تسليمها، كما لم يذكر كتاب (سيبري) السنوي ٢٠٠٧م نفقات الدفاع لدى قطر خلال الفترة (١٩٩٧-٢٠٠٦م) أسوةً ببقية دول مجلس التعاون الخمس الأخرى. علمًا بأنهما من المراجع العسكرية العالمية المعتمدة في هذا الشأن.

لكن ذكرت بعض المصادر الإعلامية أن قطر وقعت عقدًا مع الشركة الأوروبية للصناعات الجوية والدفاعية (إيادس)، من أجل شراء نظام رادار متطور بقيمة ٣٢٢,١ مليون دولار، سيتم تسليمه على مدى ثلاث سنوات.

دولة الكويت

في مارس عام ٢٠٠٧م تسلمت الكويت الدفعة الأولى المؤلفة من ست طائرات أباتشي العمودية المقاتلة، من أصل صفقة تبلغ ١٦ طائرة جرى توقيعها في عام ٢٠٠٢م؛ حيث تم الإعلان عن تشكيل سربين جويين لاستيعاب هذا النوع من الطائرات هما السربان (١٧ -٢٠) للعمل من قاعدة علي السالم الجوية، وكان من المفترض أن تكون الكويت قد تسلمت بقية الدفعة وعددها عشر طائرات خلال عام ٢٠٠٧م.

وفي سبتمبر ٢٠٠٧م استكمل الجيش الكويتي استعداداته لنشر صواريخ أرض- جو من نوع (باتريوت) في مناطق بحرية محددة ومعروفة ضمن خطة عسكرية لمواجهة أي احتمالات قتالية في المنطقة وبأي وقت.

وكانت الكويت أوصت في أكتوبر ٢٠٠٧م على ثلاث طائرات نقل عسكري من نوع (L-100-300) وهي النسخة الأحدث من طائرات (C-130) الأمريكية الصنع وذلك بقيمة ٢٥٠ مليون دولار، كما تعتزم الكويت تقوية دفاعاتها الجوية من خلال شراء أنظمة صواريخ أرض- جو من نوع (باتريوت)، ويتوقع أن تكون حصة الكويت من صفقة الأسلحة الأمريكية لدول مجلس التعاون، التي أعلن عنها وزير الدفاع الأمريكي روبرت غيتس نحو ثلاثة مليارات دولار من أصل عشرين مليارًا. كما وضعت الكويت خطةً فنيةً لتطوير الأسلحة العاملة في القوات البرية والبحرية والجوية الكويتية.

❖ ❖ ❖

القوى البشرية العاملة في القوات المسلحة لدول مجلس التعاون عام ٢٠٠٧م

المجموع الكلي للقوى البشرية العاملة في القوات المسلحة لدول مجلس التعاون في عام ٢٠٠٧م لا يزال بحدود ٤١٧ ألف جندي؛ إذ لم يطرأ أي تغيير يذكر على تعدادها العام، عما كانت عليه خلال السنوات الثلاث الأخيرة، كما أن مجموع ميزانيات الدفاع الرسمية في عام ٢٠٠٦م، بقي كما كان عليه في عام ٢٠٠٥م، وذلك بحدود٣٨,٥ مليار دولار، وبقي أيضًا مجموع نفقات التسليح في عام ٢٠٠٦م كما كان عليه في عام ٢٠٠٥م تقريبًا وذلك بحدود ٣٦ مليار دولار.

فيما استمرت بالتقدم - كمًّا وكيفًا - عمليات التسليح والتطوير والتدريب والتنسيق المشترك لجيوش دول مجلس التعاون بما في ذلك قوات (درع الجزيرة)، وذلك بهدف تحقيق أفضل مستوى ممكن من حيث الجاهزية والكفاءة القتالية.

الناتج المحلي الإجمالي وميزانية الدفاع لدول مجلس التعاون الخليجي لعام ٢٠٠٦م

الدولة	الناتج المحلي الإجمالي لعام ٢٠٠٦م (مليار دولار)	ميزانية الدفاع لعام ٢٠٠٦م (مليار دولار)
الإمارات العربية المتحدة	١٤٢	٢,٥٨
مملكة البحرين	١٥,٥	٠,٤٧٨
المملكة العربية السعودية	٣٤٣	غير معروفة (كانت ٢٥,٤ عام ٢٠٠٥م)
سلطنة عُمان	٣٦,١	٣,٢٧
قطر	٥٣,٨	٢,٣٣
الكويت	٨٧,١	٤,٥١
المجموع الكلي لدول المجلس	٦٧٧,٥	٣٨,٥٦٨

النفقات العسكرية لدول المجلس في الفترة (١٩٩٧-٢٠٠٦م) بالمليون دولار بحسب سعر الدولار الأمريكي الثابت لعام ٢٠٠٥م

الدولة	١٩٩٧م	١٩٩٨م	١٩٩٩م	٢٠٠٠م	٢٠٠١م	٢٠٠٢م	٢٠٠٣م	٢٠٠٤م	٢٠٠٥م	٢٠٠٦م	المجموع
الإمارات	٣٠٦٧	٣٠٣٦	٢٩٩٩	٢٩٢٥	٢٨٨٢	٢٩٠٩	٢٨٥٣	٢٦٢٩	٢٥٥٩	-	٢٥٨٥٩*
البحرين	٢٩٧	٣٠٤	٣٤٠	٣٣٧	٣٥٦	٣٥٧	٤٩١	٤٩١	٤٨٣	٤٥٨	٣٩١٤
السعودية	١٧٧٤٩	٢٠٥٠٠	١٨٢٤٨	٢٠١١٢	٢١٤٢١	١٨٨٠٥	١٨٩٤٤	٢١٠٦٠	٢٥٣٧٢	٢٩٠٣٢	٢١١٢٤٣
عُمان	١٩٣٤	١٧٣٥	١٧٥٧	٢٠٩١	٢٤٣٩	٢٥٢٠	٢٦٦٧	٣٠١١	٣٦٥٢	٣٠٩١	٢٤٨٩٧
قطر	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
الكويت	٢٩٣٣	٢٧٣٥	٢٦٥٨	٣٠٨٢	٣٠٢٩	٣١٢٦	٣٣٦٩	٣٦٧٩	٣٩٠٩	٣٨٣٦	٣٢٣٥٦
المجموع الكلي	٢٥٩٨٠	٢٨٣١٠	٢٦٠٠٢	٢٨٥٤٧	٣٠١٢٧	٢٧٧١٧	٢٨٣٢٤	٣٠٨٧٠	٣٥٩٧٥	٣٦٤١٧	٢٩٨٢٦٩

المصدر:

عميد (م) موسى حمد القلاب، شئون الدفاع في دول مجلس التعاون.. الأسلحة والمعدات، مجلة «آراء» حول الخليج، العدد ٤١، فبراير ٢٠٠٨م، ص٧٨-٨٢.

المدارس الأجنبية في الخليج
البحرين أنموذجًا

عبدالعزيز بن أحمد البداح

باحث متخصص في الأديان والمذاهب

ملخص الدراسة

منذ بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- وحتى وقتنا هذا وأعداء الإسلام يكيدون المكائد ويحيكون المؤامرات؛ للنيْل من أمة الإسلام، ودينها وثقافتها ولغتها، وفي عصرنا هذا تنوعت أساليبهم وتعددت وسائلهم، فكان من أقواها تأثيرًا وأشدها وقعًا: المدارس الأجنبية.. لما لها من أثر كبير في صياغة الشخصية، وتشكيل الهوية، والتحكم في التوجهات والتصورات .

وواقع المدارس الأجنبية في البحرين يمكن أن يمثل نموذجًا جيدًا ليكشف لنا الصورة الحقيقية لهذه المدارس ومخاطرها.

بدأ التعليم الأجنبي في البحرين بافتتاح مدرسة الرجاء في عام ١٨٩٢م والتي كانت في الأصل مدرسة الإرسالية الأمريكية، وقد قام بتأسيسها القس صموئيل زويمر، ومع مرور الوقت وتطور التعليم في البحرين وصل عدد هذه المدارس من مدرسة واحدة في عام ١٨٩٢م، إلى خمس وخمسين مدرسة في عام ٢٠٠٥م.

تنقسم المدارس الأجنبية في البحرين إلى قسمين: مدارس وطنية ومدارس أجنبية، ولكن في الواقع لا فرق بينها إلا في الأسماء؛ إذ في كلا النظامين يتم تدريس المنهج الأجنبي، ولغة التعليم هي دائمًا لغة أجنبية، ويقوم بالتدريس فيه معلمون أجانب، والأنشطة التي تُمارس ذات طبيعة واحدة.

والأكثر خطورة أن بعض المدارس الأجنبية في البحرين ذات طابع تنصيري كمدرسة القلب المقدس، التي تسعى من خلال مناهجها وأنشطتها إلى الدعوة إلى النصرانية أو إضعاف التمسك بالإسلام، والبعض الآخر له طابع تغريبي، كمدرسة البحرين، التي تسعى من خلال مناهجها وأنشطتها إلى ترسيخ السلوك الغربي.

ورغم أن الجهات المسئولة عن التعليم في البحرين قررت إلزام هذه المدارس بتدريس مادة التربية الإسلامية واللغة العربية، وتاريخ وجغرافية البحرين، ولكن واقع تدريس هذه المواد لا يفي بالغرض؛ لقلة عدد ساعاتها؛ ولكون تلك المدارس لا تهتم بها، فضلاً عن أن بعض تلك المدارس لا تقوم بتدريسها من الأساس.

إن واقع المدارس الأجنبية ومناهجها ونشاطاتها يشتمل على آثار سلبية خطيرة يجب التصدي لها، خاصة أنها تمس المعتقد والأخلاق واللغة.

المدارس الأجنبية في الخليج
البحرين أنموذجًا

عبدالعزيز بن أحمد البداح
باحث متخصص في الأديان والمذاهب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الله أخبر عن عداوة الكافرين للمسلمين ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ .(سورة البقرة:١٠٩).

ومنذ بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- وحتى وقتنا هذا وأعداء الإسلام يكيدون المكائد ويحيكون المؤامرات للنيل من أمة الإسلام ودينها وثقافتها ولغتها.

وفي عصرنا هذا تنوعت أساليبهم وتعددت وسائلهم، فكان من أقواها تأثيرًا وأشدها وقعًا: المدارس الأجنبية.. لما لها من أثر كبير في صياغة الشخصية وتشكيل الهوية، والتحكم في التوجهات والتصورات.

وقد اخترت أن تكون هذه الدراسة عن المدارس الأجنبية في البحرين؛ لتكون أنموذجًا للدلالة على واقع تلك المدارس وآثارها في الخليج كله، بحكم أن أول مدرسة أنشئت في الخليج كانت في البحرين (مدرسة الرجاء عام ١٨٩٢م)، ولتشابه الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية في دول الخليج.

أنواع التعليم الخاص في البحرين

المؤسسة التعليمية الوطنية

(١) تعريفها:

المؤسسة التعليمية الوطنية، داخلة ضمن التعليم الأجنبي، باعتبار مناهجها التي تُدرَّس فيها - كما سيجري إيضاحه من خلال التعريف بها وبمناهجها-.

جاء في تعريف المؤسسة التعليمية الوطنية في القانون الخاص بالمؤسسات التعليمية والتدريبية الخاصة بما يلي: (هي المعهد أو المدرسة أو المركز التعليمي أو روضة الأطفال، التي ينشئها ويمولها أشخاص طبيعيون أو اعتباريون، بحرينيون أو بالاشتراك مع أشخاص طبيعيين أو اعتباريين غير بحرينيين؛ بقصد التربية والتعليم والتثقيف، وفقًا للمناهج الوطنية، أو استنادًا إلى المناهج التي تجيزها الوزارة تحت إشرافها، وتخدم بالدرجة الأولى الطلبة البحرينيين)[1].

(١) قانون المؤسسات التعليمية والتدريبية الخاصة، رقم (٢٥)، للعام ١٩٩٨م، ص١.

وتطبق هذه المدارس نظامًا ثنائي اللغة؛ حيث يتم استخدام اللغتين العربية والإنجليزية في العملية التعليمية.

وعلى هذا فالمؤسسة التعليمية الوطنية ليست ملزمة بالمناهج الوطنية المعمول بها في الدولة، وإنما يمكن لها تدريس المنهج الذي تريده؛ شريطة موافقة وزارة التربية والتعليم عليه، حسبما نص عليه النظام المشار إليه بعاليه، ولهذا فتسميتها بالمؤسسة التعليمية الوطنية -وهي تدرس منهجًا أجنبيًّا، وتديرها أحيانًا هيئة تعليمية أجنبية- محل تحفظ ونظر؛ إذ لا تستقيم هذه التسمية مع مضمون هذه المدارس وحقيقتها، ولهذا ستدخل هذه المدارس في صلب هذا البحث بشكل أوَّلِي ورئيس لهذا الاعتبار الوجيه، خاصة وأن أكثر المدارس الوطنية تقوم بتدريس المناهج الأجنبية، وتديرها هيئة تعليمية أجنبية، ولا تختلف أنشطتها وبرامجها عن أنشطة المدارس الأجنبية.

أكثر المدارس الوطنية تقوم بتدريس المناهج الأجنبية، وتديرها هيئة تعليمية أجنبية، ولا تختلف أنشطتها وبرامجها عن أنشطة المدارس الأجنبية

(٢) مناهجها:

تطبق هذه المدارس المنهج الأمريكي، وفي بعضها يطبق أيضًا المنهج الوطني، ولغة التعليم فيها اللغة الإنجليزية.[٢]

الشهادات التي تقوم المدارس الأجنبية بمنحها:

تقوم المدارس الأجنبية بمنح عدد من الشهادات العالمية المعترف بها عالميًّا، وهذه الشهادات التي تقوم هذه المدارس بمنحها، هي:

(١) شهادة الثانوية العامة البريطانية *GCSE*:

وتعني هذه الشهادة بأحرفها الأربعة مختصرًا لشهادة الثانوية العامة البريطانية General Education of Seondary Certificate)، وتعتبر أعلى شهادة في التعليم العام، أو التعليم قبل الجامعي، وهذه الشهادة يمكن للطلبة غير البريطانيين الحصول عليها من خلال المدارس المسجلة ضمن مجلس التعليم في لندن أو كمبيريدج، ويجب على هذه المدارس أن تتبع نفس القيم والسبل التعليمية الصادرة في بريطانيا لهذا النوع من الشهادة.[٣].

(٢) شهادة البكالوريا الدولية *IBO*:

وهي شهادة معتمدة من قِبَل منظمة البكالوريا الدولية: (Internationa Baccaureate)، التي تتخذ من جنيف في سويسرا مقرًّا لها، وهذه المنظمة تقوم بشكل منتظم بمراجعة البرنامج الأكاديمي للمدرسة، وشهادة البكالوريا الدولية معترف بها دوليًّا كمعادلة للسنة الأولى الجامعية، وتبلغ هذه الدراسة فيها سنتين، ويشترط أن يكون عمر الطالب ما بين (١٦ إلى ١٩) سنة عند التقديم لامتحان هذه الشهادة [٤].

(٣) شهادة البكالوريا الفرنسية:

وهي شهادة معترف بها في كافة أنحاء العالم، وتتيح الدخول للجامعات الفرنسية، وضمن بعض الشروط الدخول إلى الجامعات في بلدان الاتحاد الأوروبي والجامعات الكندية والأمريكية [٥].

(٤) شهادة الدبلوما الأمريكية:

وهي شهادة معترف بها في الولايات المتحدة الأمريكية، وبرنامجها الأكاديمي معتمد من قِبل جمعية الدول الوسطى للجامعات والمدارس في الولايات المتحدة الأمريكية، وتتيح للحاصل عليها الالتحاق بالجامعات الأمريكية، وهي تلي شهادة الثانوية العامة،

(٢) هذا الحصر مستقى من الزيارات الميدانية للمدارس، ومن المنشورات الصادرة عنها، ومن دليل المؤسسات التعليمية الخاصة، إعداد أمينة عيسى، إدارة التعليم الخاص، وزارة التربية والتعليم، البحرين، ١٩٩٧م، ص٤٠.

(٣) الموقع (www.bab.com.sa) على شبكة الإنترنت بعنوان: (التعليم في بريطانيا).

(٤) الموقع (www.studycanada.ca) على شبكة الإنترنت بعنوان: (الدراسة بكندا وأمريكا).

(٥) الموقع (www.bab.com.sa) على شبكة الإنترنت بعنوان: (التعليم في فرنسا).

ويلزم الطالب فيها دراسة متطلبات ومواد تؤهله لدخول امتحانها!![٦]

ويتضح للقارئ أن الشهادات التي تمنحها المدارس الأجنبية شهادات عالمية معترف بها في الجامعات الأمريكية والأوروبية مما يؤهّل الطالب للالتحاق بها.

المؤسسة التعليمية الأجنبية

(١) تعريفها:

عرَّف قانونُ المؤسسات التعليمية والتدريبيةِ الخاصةِ المؤسسةَ التعليمية الأجنبية بما يلي: «هي المعهد أو المدرسة أو المركز التعليمي أو روضة الأطفال، التي ينشئها ويمولها أشخاص أو مؤسسة من المؤسسات الأجنبية الموجودة في دولة البحرين، أو بالاشتراك مع أشخاص طبيعيين أو اعتباريين بحرينيين، بقصد التربية والتعليم والتثقيف؛ وفقًا لمناهج وإشراف تربوي أجنبي، وتمنح شهادات بلد المنشأ التي هي امتداد له، وتخدم بالدرجة الأولى الطلبة الأجانب» [٧].

وعلى هذا فالمؤسسة التعليمية الأجنبية، هي التي ينشئها -في الأصل- أشخاص أو مؤسسات أجنبية، ولو بالاشتراك مع أشخاص، أو مؤسسات بحرينية، وفقًا لمناهج أجنبية. ويسمح هذا النظام للطلبة البحرينيين بالانضمام إليها، وتضم هذه المدارس مراحل التعليم المختلفة.

وهذه المدارس منها ما يتبع الكنائس وتحمل اسمها، ومنها ما يتبع مؤسسات أو أفرادًا.

ويبلغ عدد هذه المدارس -المدارس الأجنبية- إحدى وعشرين مدرسة، كما هو مسجل في الإحصائية المؤرخة في ٢٠٠٤/١٢/١١م الصادرة عن إدارة التعليم الخاص بوزارة التربية والتعليم [٨].

ويلحظ أن عدد المدارس الأجنبية يقارب عدد المدارس الوطنية؛ إذ تجد هذه المدارس إقبالاً من الطلاب العرب والمسلمين، كما سيجري إيضاحه عند الحديث عن تطور عدد المدارس والطلاب في المدارس الأجنبية.

(٢) مناهجها:

سبق القول بأن النظام أجاز للمدارس الأجنبية العمل؛ وفقًا لمناهج وإشراف تربوي أجنبي مع منح شهادات بلد المنشأ.

وتطبق هذه المدارس المنهج البريطاني، وبعضها المنهج الأمريكي، والبعض الآخر المنهج الفرنسي، ولغة التعليم إما اللغة الإنجليزية أو الفرنسية [٩]

مراحل التعليم الخاص في البحرين وما يتعلق بها

مرحلة الحضانة:

التعريف بدُور الحضانة وبيان أهدافها:

عرف قانون المؤسسات التعليمية والتدريبية الخاصة دُور الحضانة بأنها: المؤسسات التي تضم أطفالاً لا تتجاوز أعمارهم سن الثالثة بقصد رعايتهم [١٠].

دور الحضانة الأجنبية ومناهجها:

مناهج دور الحضانة الأجنبية تتوزع بين المنهج الأمريكي والبريطاني.. ولغتها هي اللغة الإنجليزية.

وغالب العاملات فيها من الجنسية الأمريكية والأوروبية.

وهناك تركيز على الموسيقى؛ إذ يتم تخصيص معامل في هذه الدُّور لهذا الغرض [١١].

ومن هذا العرض يتبين أن دور الحضانة الأجنبية تحمل جانبين خطيرين:

(٦) نشرة تعريفية صادرة عن مدرسة ابن خلدون الوطنية بدولة البحرين باللغة الإنجليزية، وتمت ترجمتها للعربية (IBN KHULDON NATIONAL SCHOOL).

(٧) قانون المؤسسات التعليمية والتدريبية الخاصة رقم (٢٥) للعام ١٩٩٨م، المادة الأولى، ص١.

(٨) قائمة تصنيف المؤسسات التعليمية الخاصة إلى وطنية وأجنبية وجاليات، إدارة التعليم الخاص، وزارة التربية والتعليم، البحرين، ١٢/١١/ ٢٠٠٤م.

(٩) هذا الحصر مأخوذ من الزيارات الميدانية للمدارس، ومن المنشورات الصادرة عنها، ومن دليل المؤسسات التعليمية الخاصة، إعداد أمينة عيسى، ص٧٠ .

(١٠) قانون المؤسسات التعليمية والتدريبية الخاصة رقم (٢٥) للعام ١٩٩٨م، المادة الأولى. الفقرة الرابعة، ص٣ .

(١١) كتيبات باللغة الإنجليزية صادرة عن تلك الدور تمت ترجمتها إلى العربية، إضافة إلى الزيارة الميدانية لها .

أولهما : أن برامجها ونشاطاتها خالية من أي بُعد إسلامي أو عربي أو تربوي.

وثانيهما : أن العاملات فيها غير مسلمات، خاصة أن الطفل في هذا السن يتلقى مهاراته عن طريق المحاكاة والتقليد، وبالتالي فلا بد أن يتأثر بهذه البيئة التي يعيش فيها.

مرحلة رياض الأطفال:

تشكل رياض الأطفال في البحرين القطاع الأكثر نموًّا في خريطة التعليم الخاص.

ورياض الأطفال في البحرين –بخلاف دور الحضانة– تقع تحت إشراف وزارة التربية والتعليم [١٢].

مناهج رياض الأطفال:

لا توجد مناهج مكتوبة لرياض الأطفال، لكن مما يدل على واقعها جنسية العاملات فيها؛ إذ جنسيتهن إما أمريكية أو بريطانية وأحيانًا عربية. [١٣]

وهنا لا بد أن يسجل الباحث ما يلي:

١ – لا تشتمل مناهج رياض الأطفال ونشاطاتها ما يعزّز انتماء الطالب لدينه وأمته ووطنه.

٢ – لغة التعلم في رياض الأطفال اللغة الأجنبية، وعليه ينشأ الطفل مقطوع الصلة بلغته العربية.

تفتقد رياض الأطفال للمحضن التربوي الآمن؛ إذ العاملات فيها غير عربيات ولا مسلمات، مما يشكّل خطورة على الأطفال في هذا السن بالذات

٣ – تفتقد رياض الأطفال للمحضن التربوي الآمن؛ إذ العاملات فيها غير عربيات ولا مسلمات؛ مما يشكل خطورة على الأطفال في هذا السن بالذات.

وأما بخصوص رياض الأطفال التي تكون العاملات فيها عربيات؛ فإن ثمة إشكالاً آخر لديها يتمثل في أنها لا تهتم بتعليم الطفل القيم الإسلامية أو اللغة العربية.

٣- مراحل التعليم العام:

من المعلوم أن مراحل التعليم العام –في النظام السائد– تنقسم إلى ثلاث مراحل: الابتدائية والإعدادية والثانوية... بينما مراحل التعليم في المدارس الأجنبية توزع على اثني عشر سنة من ١ – ١٢ تمثل كل مرحلة سنة دراسية كاملة...[١٤].

وإضافة إلى المواد التي تدرسها المدارس الأجنبية؛ فإنها تلتزم بالمناهج التي توافق عليها الوزارة فيما يتعلق بمقررات اللغة العربية للطلبة العرب، والتربية الإسلامية للطلبة المسلمين، وتاريخ وجغرافية البحرين لجميع الطلبة).

ويفترض في هذه المواد الإجبارية (اللغة العربية، التربية الإسلامية، تاريخ وجغرافية البحرين) أن تربط الطالب بدينه ولغته ووطنه إذا كانت مناسبة من جهة عدد ساعاتها وطبيعة مناهجها والقائمين بتدريسها، ولكن بالنظر إلى الواقع يمكن للباحث أن يلحظ ما يلي:

١ – أن عدد ساعات هذه المواد غير كافية؛ إذ غالب هذه المدارس لا تلتزم من جهة مادة اللغة العربية إلا بحصة واحدة في الأسبوع، أما مادة التربية الإسلامية فهي حصة واحدة في الأسبوع بموجب النظام المشار إليه، وأما مادة تاريخ وجغرافية البحرين فهي حصة واحدة في الأسبوع، على أنه من المهم الإشارة إلى أن بعض المدارس الأجنبية لا تقوم بتدريس هذه المواد أصلاً.

٢ – أن هذه المواد لا تجد العناية والاهتمام الذي تجده المواد الأخرى، فلدى الطلاب مفهوم سائد أنه لا يوجد رسوب في هذه المواد، مما جعلها مواد هامشية. وعليه فيضعف الأثر الإيجابي لهذه المواد.

نشأة التعليم الخاص في البحرين

تعتبر مدرستي (الرجاء، البيان) من أقدم وأهم وأكبر المدارس في البحرين.

(١٢) دليل المؤسسات التعليمية الخاصة، أمينة عيسى أحمد، ص١١.
(١٣) المصدر السابق.
(١٤) نشرة تعريفية صادرة عن مدرسة ابن خلدون الوطنية بدولة البحرين باللغة الإنجليزية، وتمت ترجمتها للعربية (IBN KHLUDON NATIONAL SCHOOL).

لذا سأعرف بهما من خلال التعريف بهما وبمراحلهما وبمناهجهما:

[1] مدرسة الرجاء (١٨٩٢م):

تمثل مدرسة الرجاء التي كانت في الأصل مدرسة الإرسالية الأمريكية نواة التعليم النظامي في البحرين، وقد قام بتأسيسها القس صموئيل زويمر في العام ١٨٩٢م، كما أنها تعتبر من أول المدارس التي تم إنشاؤها على النمط الغربي في البحرين [١٥].

عدد الطلاب:

وصل عدد طلاب مدرسة الرجاء في العام ٢٠٠٤م إلى (٥٠٠) طالب وطالبة.

الرسوم الدراسية:

يلحظ أن الرسوم الدراسية في مدرسة الرجاء تعتبر ضئيلة فيما إذا قارناها بالمدارس الأخرى، وهذا ما يؤكد وجود دعم للمدرسة من قبل الكنيسة.[١٦]

وهذا الاستنتاج أكَّده أحد التقارير الذي تناول المدرسة وجاء فيه أن ميزانية المدرسة تبلغ أربعين ألف دينار ربعها تبرعات كنيسة الإصلاح الأمريكية [١٧].

الهيئة التعليمية والطلاب:

مدير المدرسة أمريكي الجنسية، وأما الهيئة التعليمية فتتكون من عدة جنسيات أجنبية وعربية، والغالبية الساحقة من طلابها من الجنسية العربية أكثرهم بحرينيون، ويوجد عدد قليل من الطلاب من جنسيات أجنبية [١٨].

واقع المدرسة:

المدرسة مختلطة بين الطلاب والطالبات في كافة المراحل وسائر الأنشطة، عدا حصة التربية الرياضية، فيتم فيها الفصل بين الجنسين.

وتنظم المدرسة رحلة سنوية داخلية لطلابها وطالباتها، تتخللها عدد من البرامج الترويحية والرياضية التي بالطبع ترسخ مفهوم الاختلاط بين الجنسين.

كما تقوم المدرسة بتنظيم عدد من الزيارات الميدانية لعدد من المرافق والجهات الحكومية والأهلية.

ويؤكد عدد من الطلاب أنه لا يوجد أي دعوة للتنصير من قبل المدرسة أو هيئتها التعليمية، في حين أنهم يؤكدون على أن المعاملة التي يلقاها الطلاب والطالبات من الهيئة التعليمية في المدرسة في غاية اللطف وفي جو من الرعاية والاهتمام.

ولا يوجد مراعاة لأوقات الصلاة خلال اليوم الدراسي، أو عند القيام بأي نشاط يتخلله وقت صلاة؛ فضلاً عن أنه لا يوجد مصلى أو مكان مهيأ لأداء الصلاة فيه أصلاً.

ويرتبط أكثر طلاب المدرسة وطالباتها بعلاقات صداقة نتيجة جو المدرسة المختلط [١٩].

الزي المدرسي:

يلبس الطلاب زيًّا موحدًا يتمثل في البنطال والقميص، وترتدي الطالبات التنورة والقميص، وغالبية الطالبات يكون لباسهن إلى الركبة حتى في المرحلة الثانوية. أما نسبة الطالبات المحجبات في المدرسة – اللاتي يغطين شعورهن – فلا تكاد تُذكَر [٢٠].

(١٥) اسم الكتاب (AN ANALYTICAL STUDY OF THE SYSTEM OF EDUCATION IN BAHRAIN).
دراسة تحليلية لنظام التعليم في مملكة البحرين ١٩٤٠، ١٩٦٥، عبدالملك يوسف الحمر، ص٢٠ .

(١٦) المصدر السابق، موقع وزارة التربية والتعليم في البحرين، التعليم الخاص، (www.education.gov).

(١٧) تقرير سري صادر عن إحدى سفارات إحدى الدول العربية في البحرين، ص١٧.

(١٨) زيارة ميدانية للمدرسة في يوم الأحد ١٤٢٦/١/١٨هـ الموافق ٢٠٠٥/٢/٢٧م.

(١٩) مقابلة مع الطالب: محمد بن عيسى الجامع خريج مدرسة الرجاء في يوم الاثنين ٢٦/ ٦/ ١٤٢٦هـ الموافق ٢٠٠٥/٨/١م.

(٢٠) زيارة ميدانية للمدرسة في يوم الأحد ١٤٢٦/١/١٨هـ الموافق ٢٠٠٥/٢/٢٧م.

[٢] مدرسة بيان البحرين النموذجية (١٩٨٢م)[٢١]:

تأسست مدرسة بيان في عام ١٩٨٢م، وهي مدرسة ذات تعليم ثنائي اللغة، وتشمل جميع المراحل من الحضانة وحتى الثانوية العامة، وتهدف المدرسة إلى إعداد الطلاب للجامعة داخل المجتمعات الإنجليزية والعربية، وتقدم منهجًا يؤهل الطالب إلى برنامج دبلوم (البكالوريا) ودبلوم المدرسة الثانوية، كما أنها مؤسسة معتمدة من قبل منظمة الدول الوسطى للمدارس والجامعات[٢٢].

المراحل الدراسية:
مرحلة الحضانة ورياض الأطفال:

يركز في هذه المرحلة على تلقين الطفل الحروف الإنجليزية [٢٣].

ومن المهم الإشارة إلى أن الطفل في مرحلتي الحضانة والروضة لا يتعلم أي مفردة من مفردات التربية الإسلامية التي تعتبر الأساس الذي يربى عليه الطفل المسلم، كما يتم في هذه المرحلة التركيز على اللغة الإنجليزية يصاحبه قصور كبير في تعليم اللغة العربية.

المنهج الابتدائي:

يسعى البرنامج الابتدائي إلى إدراك الطالب لعدد من المواد، يهمنا في هذا الجانب ما يلي:

١- اللغة الإنجليزية: وهي مادة أساسية، ويتم التركيز عليها بشكل كبير، وهي لغة المواد كلها، عدا مادتي التربية الإسلامية واللغة العربية.

٢- الموسيقى: يتعلم الطلاب الموسيقى باللغتين العربية والإنجليزية؛ حيث يتعلم الطلاب كل عام فصلاً دراسيًّا في مادة الموسيقى باللغة العربية، وفصلاً آخر باللغة الإنجليزية، والموسيقى مادة إجبارية على الطلاب من مرحلة الروضة وحتى نهاية المرحلة الإعدادية.

منهج المدرسة المتوسطة:

يدرس الطلاب المواد المذكورة إضافة إلى المواد الآتية:

❖ التاريخ: ويركز في هذه المادة على تاريخ الحضارات القديمة: (الإغريق، الفراعنة، اليونان) إضافة إلى الحرب العالمية الأولى والثانية، ولا يدرس الطالب في هذه المرحلة تاريخ الدولة الإسلامية بعصورها المختلفة: (العهد النبوي، الخلفاء الراشدين، الأموية، العباسية، المماليك، العثمانيين، التاريخ الإسلامي الحديث).

❖ اللغة الفرنسية: تقوم المدرسة المتوسطة بتعليم اللغة الفرنسية بوصفها لغة ثالثة في المستوى السابع.

❖ منهج المدرسة الثانوية: يدرس الطلاب في هذه المرحلة كل المواد الدراسية التي سبقت في المرحلة المتوسطة، بالإضافة إلى مادتي (الموسيقى، الدراما) كمادتين اختياريتين [٢٤].

الرسوم الدراسية:

يلحظ من خلال هذا الحصر ارتفاع تكلفة الدراسة في هذه المدرسة التي تناسب أن تكون رسومًا دراسية للمرحلة الجامعية لا لمراحل التعليم العام.. وهذا ما جعل هذه المدارس خاصة بأبناء الأثرياء.[٢٥]

الهيئة التعليمية والطلاب:

تضم الهيئة التعليمية لمدرسة (بيان) عددًا من الجنسيات المختلفة، فهناك الأجانب ويمثلهم معلمون من أمريكا وكندا وأستراليا وبريطانيا، وهناك العرب ويمثلهم معلمون من مصر والأردن والبحرين.

وأما الطلاب، فإن النسبة الغالبة هم البحرينيون، ويوجد نسبة من الأجانب الذين هم غالبًا أبناء الهيئة التعليمية الأجنبية في المدرسة [٢٦].

(٢١) كتيب تعريفي بعنوان (The Bahrain Bayan Sshool) صادر عن المدرسة تمت ترجمته إلى العربية .

(٢٢) جمعية الدول الوسطى للجامعات والمدارس مقرها في الولايات المتحدة الأمريكية. انظر: ص١٤١.

(٢٣) المصدر السابق.

(٢٤) كتيب تعريفي بعنوان (The Bahrain Bayan School) صادر عن المدرسة تمت ترجمته إلى العربية.

(٢٥) موقع وزارة التربية والتعليم في البحرين، التعليم الخاص (www.education.gov).

(٢٦) زيارة ميدانية للمدرسة في يوم الأربعاء ١٤٢٦/١/٢١هـ الموافق ٢٠٠٥/٣/٢م.

واقع المدرسة:

مدرسة البيان يختلط فيها الطلاب بالطالبات في كافة المراحل وسائر الأنشطة، عدا حصة التربية الرياضية، فيوجد فيها فصل بين الجنسين. ويوجد في المدرسة أنشطة مختلفة كالرحلات الداخلية للمصانع والمتاحف والسينما وغيرها. كما تنظم المدرسة رحلة خارجية علمية -سنوية- (لقبرص) تضم طلاب وطالبات المدرسة، وتضم في برنامجها فعاليات ترويحية وترفيهية.

وتقيم المدرسة حفلات موسيقية يحييها الطلاب والطالبات، إضافة إلى الحفلات المسرحية التي يقدم فيها الطلاب مسرحيات عربية وإنجليزية، وهذه الحفلات تشمل الطلاب والطالبات في المراحل التعليمية كلها.

وتنظم المدرسة كرنفالاً [٢٧] لطلاب المرحلة المتوسطة داخل المدرسة يشتمل على اللعب والرقص والموسيقى والحفلة التنكرية وغيرها من الفعاليات.

ومن الأنشطة التي تقدمها المدرسة «يوم تعدد الثقافات»؛ حيث يقوم الطلاب بارتداء الأزياء الهندية والأسبانية واليونانية واليابانية في عرض لطرائق الشعوب وعاداتهم، ويعتبر يوم المتعة والسعادة الذي تقيمه المدرسة لطلابها وطالباتها في المرحلة الثانوية والذي يشتمل على اللعب والرقص والغناء والراحة والاسترخاء أحد أوجه النشاط في المدرسة [٢٨].

ولا يراعى في جدول الحصص وقت الصلاة بالرغم من وجود مصلى -والذي يكون أحيانًا مقفلاً وقت الصلاة- فضلاً عن أن تكون الصلاة إلزامية للطلاب... مع أن نسبة ضئيلة من الطلاب هم الذين يلتزمون بأداء الصلاة في المدرسة.

ونتيجة للجو المختلط بين الجنسين في المدرسة أضحت العلاقة بينهما فاشية ظاهرة. على أن من الملاحظ أيضًا فشوّ ظاهرة التدخين في أوساط الطلاب، رغم كونه ممنوعًا داخل المدرسة [٢٩].

الزي المدرسي:

يلبس الطلاب زيًّا موحدًا يتمثل في البنطال والقميص، وترتدي الطالبات التنورة والقميص، وأكثر الطالبات يكون لباسهن إلى الركبة حتى في المرحلة الثانوية.

تقيم المدرسة حفلات موسيقية يحييها الطلاب والطالبات، إضافة إلى الحفلات المسرحية التي يقدم فيها الطلاب مسرحيات عربية وإنجليزية وهذه الحفلات تشمل الطلاب والطالبات في المراحل التعليمية كلها.

أما الطالبة التي تغطي شعرها فتمثل نسبة قليلة جدًّا من مجموع طالبات المدرسة؛ إذ يمكن القول بأن: عدد المحجبات طالبة واحدة من كل عشرين طالبة [٣٠].

نشأة المؤسسة التعليمية الأجنبية:

تعتبر مدرسة (القلب المقدس، البحرين الدولية) من أقدم المدارس الأجنبية في البحرين، لذا سأعرف بهما من خلال التعريف بمناهجهما وبيان واقعهما.

[١] مدرسة القلب المقدس (١٩٤٠م):

تأسست مدرسة القلب المقدس في عام ١٩٤٠م، ويمتلكها الكاهن لويس ماجتيكاني، ويدير المدرسةَ الكنيسةُ الكاثوليكية في البحرين (كنيسة القلب المقدس)[٣١].

(٢٧) الكرنفال (CARNIVAL) : مهرجان يتضمن الغناء والرقص والعزف والموسيقى، وقد يتضمن فقرات ترفيهية مثل حفلات الرقص بالملابس التنكرية، وعرفت الكرنفالات في العصور الوسطى الأوروبية في دول رومانية كاثوليكية، مثل إيطاليا وأسبانيا، وكانت مناسبات للمرح تقام في الأيام التي تسبق موسم الصوم النصراني الكبير، وقيل: إن الكرنفال نشأ من مهرجان روماني قديم كان يقام في منتصف الشتاء، وعادة ما تكون الكرنفالات مبررًا للتصرف اللامسئول. الموسوعة العربية العالمية، ج١٩ ص٢٢٦ .

(٢٨) الكتاب السنوي الصادر عن المدرسة للعام ٢٠٠٤م، ٢٠٠٥م باللغة الإنجليزية، وتمت ترجمته إلى العربية ٢٠٠٥م (BAHRAIN BAYAN SCHOOL).

(٢٩) مقابلة مع الطالب أحمد بن علي آل خليفة خريج مدرسة بيان في يوم الأحد ١٤٢٦/٨/٢١هـ الموافق ٢٠٠٥/٩/٢٥م.

(٣٠) زيارة ميدانية للمدرسة في يوم الأربعاء ١٤٢٦/١/٢١هـ الموافق ٢٠٠٥/٣/٢م.

(٣١) اسم الكتاب: AN ANALYTICAL STUDY OF THE SYSTEM OF 1940، 1965 EDUCATION IN BAHRAIN. دراسة تحليلية لنظام التعليم في مملكة البحرين ١٩٤٠، ١٩٦٥، اسم المؤلف : ABDULMALIK YOUSUF AL HAMER. By: عبد الملك يوسف الحمر، ص١١ .

الهيئة التعليمية والطلاب:

الإدارة في مدرسة القلب المقدس بريطانية الجنسية، وكذا المعلمون عدا معلمي مادتي التربية الإسلامية واللغة العربية. كما يوجد من ضمن الهيئة التعليمية راهبات بزيهن المعروف، يقمن بتدريس المواد المختلفة.

أما بالنسبة للطلاب فأكثرهم من غير المسلمين، وهم من جنسيات مختلفة: بريطانية وهندية وفلبينية. وأما الطلاب المسلمون فأغلبهم من البحرينيين.

أما على مستوى الطائفة؛ فالملاحظ أن الطلاب المنتمين للمذهب الشيعي أكثر من الطلاب المنتمين للسنة؛ بالنسبة لعموم الطلاب المنتمين للمدرسة.

وفي عام ٢٠٠٤م بلغ عدد طلاب مدرسة القلب المقدس ما يزيد على ألف وأربعمائة طالب وطالبة؛ يمثل الطلاب العرب والمسلمون منهم ما يقارب النصف[٣٢].

المنهج الدراسي:

لا تشتمل مادتا التاريخ والجغرافيا على التاريخ الإسلامي، أو جغرافية العالم الإسلامي.

ومادة الدين عبارة عن حصة واحدة في الأسبوع، ويقوم بتدريسها مدرسات، وفي بعض السنوات كانت إحداهن غير محجبة، على أن هذه المادة ضعيفة من ناحية المحتوى، ولا تجد الاهتمام المطلوب، ولذا فأثرها في تعزيز جانب التدين لدى الطلاب ضعيف.

على أنه من المهم الإشارة إلى أن المدرسة منذ إنشائها في عام ١٩٤٠م وحتى صدور أول قانون لتنظيم التعليم الخاص في عام ١٩٦١م -الذي ألزمت المدارس الخاصة بموجبه بإخال مادة التربية الإسلامية ضمن مناهجها- لم تكن تلك المدرسة تدرس تلك المادة فضلاً عن أنها لم تكن واقعة تحت إشراف الدولة أصلاً.

ولي أن أتساءل عن حال الجيل أو الأجيال التي خرجتها تلك المدرسة خلال عشرين عامًا حين كانت تعمل وفق أهدافها التنصيرية وبأسلوب ظاهر مكشوف؟!

الزي المدرسي:

في مدرسة القلب المقدس يتم إلزام الطالبات بزي موحد، والطالبات يلبسن لباسًا إلى حد الركبة. ونسبة الطالبات المسلمات اللاتي يغطين شعورهن لا تكاد تُذكر[٣٣].

(٣٢) زيارة ميدانية للمدرسة في يوم الثلاثاء ١٤٢٦/١/٢٧هـ الموافق ٢٠٠٥/٣/٨م.

(٣٣) الزيارة الميدانية للمدرسة .

الرسوم الدراسية:

يُلحظ أن الرسوم الدراسية متدنية جدًّا، بل يمكن اعتبارها رسومًا رمزية؛ ولو قارنا بينها وبين المدارس الأخرى لوجدنا أن المدارس الأخرى تتجاوزها بعشرة أضعاف.. وهذا ما يؤكد رعاية الكنيسة للمدرسة وتقديمها الدعم المادي لها.[٣٤]

واقع المدرسة:

مدرسة القلب المقدس من أكثر المدارس التي يظهر عليها الطابع الديني النصراني؛ يتمثل ذلك في جود راهبات يقمن بالتدريس ووجود صور لرموز نصرانية معلقة على حوائط المدرسة كصور للبابا وبعض القسيسين [٣٥].

على أن المدرسة كانت في وقت سابق تُلزم طلابها المسلمين وغيرهم بارتداء الزي المدرسي الذي كان يحمل صورة الصليب.

والمدرسة تعمل وفق نظام اختلاط الطلاب بالطالبات في كافة المراحل وسائر الأنشطة، ونتيجة لذلك تكثر العلاقات العاطفية بين الطلاب والطالبات، وأحيانًا تكون تلك العلاقة بين طالبة مسلمة وطالب غير مسلم، والعكس يحصل أيضًا.

تراعي المدرسة في نظامها الشعائر النصرانية من غير مراعاة للشعائر الإسلامية؛ فمثلاً لا يوجد مصلى، ولا يراعى وقت الصلاة في جدول الحصص المدرسي؛ ولا يلتزم الطلاب المسلمون بأدائها، إضافة إلى أن المقصف -البوفيه- يستمر في عمله خلال شهر رمضان من غير توقف؛ وإن كان أكثر الطلاب المسلمين يصومون.

وتمنح المدرسة إجازتها الأسبوعية لطلابها في يومي الجمعة والأحد، على أنه خلال احتفالات أعياد الكريسمس يُعطَى الطلاب إجازة لمدة أسبوعين.

وتنظم المدرسة رحلات داخلية لطلابها لعدد من الأماكن والمرافق، وتكون هذه الرحلات مختلطة بين الجنسين.

وتقيم المدرسة أيضًا حفل تخريج -سنويًّا- لطلابها وطالباتها يتخلله برامج مسرحية وموسيقية [٣٦].

[٣] مدرسة البحرين (١٩٦٨م):

أنشئت مدرسة البحرين من قبل وزارة الدفاع الأمريكية؛ لتعليم أبناء أفراد الجيش الأمريكي المقيم في قاعدة الجفير[٣٧] الأمريكية في البحرين، وهي ضمن مدارس أخرى أنشئت في كل من هولندا، والمملكة المتحدة والنرويج، وبلجيكا وألمانيا، وإيطاليا وتركيا وأسبانيا لهذا الغرض [٣٨].

وقد توسعت مدرسة البحرين الدولية لتقبل غير أبناء العسكريين الأمريكان، بل أصبح الملتحقون بالمدرسة من غير الأمريكان أكثر من الأمريكان أنفسهم.

الرسوم الدراسية:

الرسوم الدراسية الخاصة بالمدرسة مرتفعة جدًّا، بل تعتبر رسومها من أعلى الرسوم على المستوى التعليم الخاص في البحرين كلها. وهذه الرسوم مقررة على الطلاب الوافدين، أما الطلاب المنتمون للجنسية الأمريكية فلهم رسوم خاصة تقترب من كونها رسومًا رمزية.[٣٩].

الهيئة التعليمية والطلاب:

إدارة المدرسة أمريكية، والهيئة التعليمية فيها بين أمريكيين وأوروبيين والأمريكيون أغلب، وبالنسبة لدياناتهم: فمنهم النصارى ومنهم اليهود، ومدرسو مادة اللغة العربية من الجنسية العربية.

(٣٤) موقع وزارة التربية والتعليم في البحرين، التعليم الخاص (www.education.gov).

(٣٥) الزيارة الميدانية للمدرسة .

(٣٦) مقابلة مع الطالب سلمان الرشيد -خريج مدرسة القلب المقدس- في يوم الأحد ١٤٢٦/٦/٢٥هـ الموافق ٢٠٠٥/٧/٣١م، إضافة إلى الزيارة الميدانية للمدرسة.

(٣٧) الجفير منطقة في البحرين تسمى بهذا الاسم، وفيها يقع الأسطول الأمريكي الخامس. انظر: ص٥٠.

(٣٨) كتاب تعريفي صادر عن المدرسة للعام ٢٠٠٤م.

(٣٩) موقع وزارة التربية والتعليم في البحرين، التعليم الخاص، (www.education.gov).

أمـا الطلاب فهـم من جنسـيات مختلفـة ، وإن كان أكثرهم من العرب والمسلمين، والطلاب الشيعة أكثر مـن الطـلاب السـنة ، وفي السـنوات الأخـيرة زاد عـدد الطلاب السـعوديين خاصة ممن يعمل ذووهم في شركة (أرامكو) النفطية [٤٠].

وبلغ عـدد طلاب المدرسـة وطالباتهـا الإجمالي للعام ٢٠٠٤م مـا يزيد على ألف طالـب وطالبة ، يمثلون أكثر من أربعين جنسية مختلفة [٤١].

المراحل والمواد الدراسية:

تضـم مدرسـة البحريـن المراحل الدراسـية كلها من الحضانة حتى المرحلة الثانوية.

والمواد فيها على نوعين:

مواد إجبارية: ومنهـا: اللغة الإنجليزية، اللغة العربية- للعرب، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، الموسيقى.

مـواد اختيارية: ومنهـا: الدراما، واللغات: الفرنسـية والأسبانية والألمانية.

وتركـز مـادة التاريـخ -كما هو عنوانهـا- علـى التاريـخ الأمريكـي والمراحـل الـتي مـر بهـا ، بدايـة من مرحلة الاستكشـاف وحتـى التاريخ الحالي، ولهذا لا يوجد ضمن مفردات المنهج تاريخ العالم الإسـلامي، بل ولا تاريخ البحرين أو جغرافيته.

كما لا توجد مادة التربية الإسلامية في مراحل التعليم كلها ، بدءًا من الحضانة وحتى نهاية المرحلة الثانوية.

ومما تتضمنه مادة الدراما تعليـم الطلاب والطالبات طريقة الرقص الغربي [٤٢].

واقع المدرسة:

إذا كانـت مدرسـة القلـب المقـدس تحمـل الطابـع التنصيري العقدي؛ فمدرسة البحرين الدولية تحمل طابع ترسيخ السلوك الغربي لدى الطالب.

وعلى هذا فتعتبر مدرسـة البحرين بيئة مصغرة للحياة الغربية بكل قيمها ومفاهيمها وعاداتها. فالاختلاط بين الجنسين فيها بارز وواضح، بل يمكن القول بأنه متعمد ومقصود؛ إذ إن الاختلاط يشـمل كافة الأنشطة، حتى السـباحة يمارسـها الطلاب والطالبات سويًّا إلى الصف الأول الثانوي، وتكون بملابس السباحة المعروفة [٤٣].

ونتـج عن هذا الاختلاط المشـين شـيوع العلاقات بين الجنسـين على نحو ظاهـر ، وامتدت تلك العلاقات حتى كانت بين العرب من الجنسـين وغيرهم من الجنسـيات الأخـرى، وتطفو على السـطح بين آونـة وأخرى حالات تبرز مسـاوئ الاختلاط ومفاسده، ففي عام (١٤١٨هـ-١٩٩٨م) تم اكتشـاف حالة حمل غير شرعي لدى طالبة أمريكية فتم ترحيلها إلى أمريكا في حينه.

تعتبر مدرسة البحرين بيئة مصغرة للحياة الغربية بكل قيمها ومفاهيمها وعاداتها. فالاختلاط بين الجنسين فيها بارز وواضح، بل يمكن القول بأنه متعمد ومقصود

وبشـأن العلاقـات العاطفيـة بـين الطلاب والطالبات، فقد تعدت حدود الجنسيات؛ إذ شملت طلابًا أجانب مع عربيات، وطلابًا عربًا مع أجنبيات.

وينتشـر بـين الطـلاب والطالبـات تعاطي الحشـيش والحبـوب المخدرة، ولعـل هـذا هـو السـبب في أن يـورد كتـاب الطالـب تعهـدًا يوقع عليه الطالب وولي أمـره يتضمن فقرة حول منـع تعاطـي الخمـور والمخـدرات، أو ترويجهـا داخـل المدرسة [٤٤].

وذلك لأن التأكيد على هذا الأمر في مؤسسـة تربوية محل نظر وتأمل، وهو يقود إلى القول بأن المدرسة تعاني من انتشار هذه الظاهرة؛ فنصت على منعها لأجل ذلك.

(٤٠) زيـارة ميدانيـة للمدرسـة في يـوم الأربعـاء ١٤٢٦/١/٢٨هـ الموافـق ٢٠٠٥/٣/٩م.
(٤١) الزيارة الميدانية للمدرسة .
(٤٢) كتاب تعريفي صادر عن المدرسة للعام ٢٠٠٤م.
(٤٣) الكتاب السنوي الصادر عن المدرسة للعام ٢٠٠٠م باللغة الإنجليزية، وتمت ترجمته للعربية، ص١٩٨.
(٤٤) كتاب الطالب Student Handbook ، ص٥٧.

ولا يتم مراعاة أوقات الصلاة في جدول الحصص اليومي، ولا خلال الرحلات والزيارات الميدانية، على أنه يوجد مكان معد للصلاة داخل المدرسة لا يرتاده سوى عدد قليل ومحدود من الطلاب المسلمين، وفي إحدى السنوات وُجدت حالات مضايقة لطلاب كانوا يحرصون على أداء الصلاة. ومن الجدير بالذكر أن نسبة قليلة من الطلاب المسلمين يصومون رمضان [٤٥].

الاهتمام بالأعياد [٤٦]:

يجد الاحتفال بالأعياد النصرانية على اختلافها اهتمامًا كبيرًا من المدرسة، فتقوم المدرسة بالاحتفال بعيد (الكريسمس) وعيد (رأس السنة الميلادية) وعيد الحب، وأعياد الميلاد الشخصية للطلاب أو للهيئة التعليمية[٤٧].

وخلال السنة تقيم المدرسة حفلات موسيقية ومهرجانات غنائية يحييها الطلاب والطالبات، ولم يقتصر اهتمام المدرسة بالموسيقى على هذا فحسب، بل إنها كونت فرقًا موسيقية من الطلاب والطالبات تشارك في مهرجانات موسيقية محلية وعالمية [٤٨].

وتمارس الطالبة في المدرسة الرياضة بأنواعها، ويوجد فريق رياضي للطالبات في مختلف الرياضيات، ويلبس الطالبات حال ممارستهن لها ما يُظهر أكثر من الفخذ، ومدرس مادة الرياضة رجل، ويجري هذا الفريق مباريات مع فرق في مدارس أجنبية أخرى في البحرين، وأحيانًا يرتفع التمثيل للمشاركة في مباريات في الدوحة والكويت وآثينا [٤٩].

ومن ضمن الأنشطة التي تقيمها المدرسة: عيد الرقص والتمثيل؛ الذي يقوم الطلاب والطالبات فيه بالرقص على الطريقة الغربية؛ إضافة إلى برامج أخرى ترفيهية.

(٤٥) مقابلة مع الطالب سلمان الجويسر، خرج مدرسة البحرين، في يوم الثلاثاء ١٤٢٦/٤/٢هـ الموافق ٢٠٠٥/٥/١٠م.
(٤٦) في موضوع الأعياد انظر: الأعياد وأثرها على المسلمين، الدكتور سليمان السحيمي، الجامعة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
(٤٧) التقرير السنوي ص١٧٧، ٤٣، ٩٧، ٩٠ .
(٤٨) المصدر السابق، ص١٨٦.
(٤٩) المصدر السابق، ص١٧٣، ١٧٦ .

وترتب المدرسة لطلابها رحلات خارجية لعدد من الدول الأوروبية كباريس وسويسرا ولندن، وهي رحلات ترفيهية، إضافة إلى عدد من الدول العربية كبيروت والقاهرة.

ومن المهم الإشارة إلى أن الطلاب والطالبات في رحلاتهم الداخلية والخارجية يعيشون في حرية كاملة، ومن يطَّلع على صورهم خلال تلك الزيارات لا يرى أن هناك قيودًا أو ضوابط لتعامل الطالب مع الطالبة، بل يمكن القول: إن المشاهد يرى طلابًا وطالبات لا يميزهم عن الطالب والطالبة الغربية سوى الأسماء والجنسيات.

ولا عجب أن يكون حال الطلاب والطالبات هكذا؛ فالتقرير السنوي للمدرسة يجمع بين كل طالب وطالبة يشتركان في شيء معين، مثل: (أجمل عيون، أجمل ابتسامة، أكثر حبًّا ومودة، الأكثر رياضة) [٥٠].

نادي الخدمة:

يهدف النادي إلى مساعدة المحتاجين، وتقديم العون لهم من خلال تنظيم المهرجانات والحفلات الراقصة والموسيقية والأسواق الخيرية؛ ليعود ريعها على هذا الجانب.

ويتم استغلال المناسبات الدينية -النصرانية- في هذا الأمر؛ إذ يتم توزيع الطعام على المحتاجين في احتفالات عيد الكريسمس [٥١].

الزي المدرسي:

تنص أنظمة المدرسة على أنه ليس هناك زيد موحد أو معين يلزم به الطلاب والطالبات، فالأمر متروك للطالب والطالبة في اختيار الزي الذي يريدانه.

وغالب الطالبات يلبسن ما يكشف ما فوق الركبة، مع المبالغة في الألبسة الفاتنة.

(٥٠) المصدر السابق، ص٤٣، ٤٨.
(٥١) كتاب الطالب Student Handbook ، ص٤٨.

وإذا نصت أنظمة المدرسة على وضع ضوابط للباس[٥٢]؛ فإنها في الواقع غير مطبقة.

وبخصوص تحجب الطالبات، فإنه يمكن القول من خلال الزيارة الميدانية أنه لا توجد طالبة محجبة، ولعل هذا نتيجة طبيعية لواقع المدرسة [٥٣].

السكن الداخلي:

يوجد لدى مدرسة البحرين سكن داخلي يقع في حرمها وتحت إشرافها، يستفيد منه اثنتان وخمسون طالبة واثنان وستون طالبًا من الصف الأول الثانوي وحتى الصف الثالث الثانوي.

والسكن مختلط بين الطلاب والطالبات سوى في الأماكن المعدة للنوم، ويستفيد الطلاب من قاعة مشتركة للاستراحة ومركز ترفيهي تابع للسكن.

وتشتمل الأنشطة التي يمارسها الطلبة في أيام الأسبوع الاعتيادية وعطلة نهاية الأسبوع على رياضة ركوب الخيل، وحضور المهرجانات المختلفة، والمعارض والحفلات، فضلاً عن المشاركة في الرحلات إلى المنتجعات والسواحل المحلية والمجمعات التجارية، ودور السينما والمطاعم، والمعالم السياحية بالبحرين. [٥٤]

نشأة معاهد التعليم الأجنبية:

يوجد في البحرين خمسون معهدًا حسب إحصائية وزارة التربية والتعليم للعام ١٩٩٧م، وهذه المعاهد تختلف نشاطاتها، فمنها ما هو متخصص لتعليم اللغات، وبعضها للحاسب الآلي، وهناك معاهد لتعليم التصوير والموسيقى وفن الباليه.

ولكون هذه المعاهد أجنبية أولاً، ولما تمارسه من دور ثانيًا؛ فإني سأعرض لمعهدين منها فحسب:

[١] المعهد الثقافي البريطاني (١٩٥٨م):

يعتبر المعهد البريطاني للغات من أقدم المراكز الأجنبية في البحرين؛ إذ تأسس في عام (١٩٥٨م) وهو يتبع المجلس البريطاني [٥٥].

وهو مَعْنِيّ بتعليم اللغة الإنجليزية على وجه الخصوص، والهيئة التعليمية فيه من الجنسية البريطانية [٥٦].

البعثات الخارجية:

ينظم المعهد بعثات خارجية إلى المملكة المتحدة للمتفوقين للدراسة في جامعاتها، وينظم المعهد كذلك دورات صيفية للطلاب من سن ١٠- ١٧ في بريطانيا، ويتخلل البرنامج الصيفي؛ إضافة إلى تعليم اللغة الإنجليزية، برامج ترفيهية وسياحية.

كما أن المركز البريطاني يتجاوز دوره من خلال إقامة معرض تعليمي سنوي في البحرين، يتم فيه التعريف بالجامعات البريطانية، والدعاية للدراسة فيها، يحضره ممثلون عن تلك الجامعات للإجابة على جميع الأسئلة والأمور المتعلقة بالتقدم للدراسة في بريطانية لمن يرغب فيها [٥٧].

واقع المعهد:

ينظّم المعهد عددًا من الأنشطة والبرامج الترفيهية لطلابه والمنتسبين له، فيرتب الرحلات البرية والبحرية، والزيارات لعدد من المرافق السياحية.

كما أن المعهد يشارك في عدد من الأعمال التطوعية والخيرية، بالمشاركة مع الأندية والمؤسسات الخيرية في البحرين.

(٥٢) كتاب الطالب Student Handbook ، ص٨٢.

(٥٣) الزيارة الميدانية للمدرسة .

(٥٤) كتاب تعريفي صادر عن المدرسة باللغتين العربية والإنجليزية للعام ٢٠٠٤م.

(٥٥) المجلس البريطاني: منظمة تهتم بالاتصالات الثقافية والعلمية بين بريطانيا والدول الأخرى، كما تهتم بتعليم اللغة الإنجليزية خارج بريطانيا. تأسس في العام ١٩٣٤م. الموسوعة العربية العالمية، ج٢٢ ص٢٨٧ .

(٥٦) زيارة ميدانية للمعهد في يوم الاثنين ١٤٢٦/٤/٢٩هـ الموافق ٢٠٠٥/٦/٦م.

(٥٧) المنشورات الصادرة عن المعهد .

[٢] المعهد الثقافي الفرنسي (١٩٦٩م):

تأسس المعهد الثقافي الفرنسي في العام (١٩٦٩م) وهو مَعْنِيّ بتدريس اللغة الفرنسية، والهيئة التعليمية فيه من الجنسية الفرنسية، ويوجد عرب في أعمال إدارية[٥٨]. والدراسة في المعهد مختلطة بين الجنسين [٥٩].

البعثات الخارجية:

ينظم المعهد الفرنسي بعثات خارجية إلى فرنسا للطلبة المتفوقين ولطلبة المراحل المتقدمة.

كما يوجد بالمعهد مركز خاص يقدم كافة المعلومات عن طريقة الدراسة وأماكن السياحة في فرنسا. ويعتبر هذا المركز قاعدة معلومات تخدم الراغبين في السفر إلى فرنسا؛ لغرض الدراسة أو السياحة [٦٠].

واقع المعهد:

للمعهد الفرنسي نشاط قوي في غير الجانب التعليمي، فهو ينظم الحفلات الموسيقية والاحتفالات المسرحية، ويقوم بعرض الأفلام السينمائية -الفرنسية- في صالة المعهد.

كما يرتب المعهد لطلابه وطالباته زيارات دورية لعدد من المرافق والمناطق السياحية في البحرين.

كما يضم المعهد أماكن ترفيهية، وملعبًا تتاح فيه فرصة ممارسة الرياضة لمنسوبي المعهد [٦١].

وفي الجدول التالي نموذج لما قام به المعهد من نشاط ثقافي خلال شهري مارس- أبريل ٢٠٠٥م [٦٢]:

مسلسل	التاريخ	النشاط
١	١٦ مارس	فيلم سينمائي فرنسي
٢	٢٢ مارس	اجتماع جمعية الفرنسيين بالبحرين
٣	٢٣ مارس	مهرجان المسرح الفرنسي للطفولة
٤	٢٨ مارس	معرض الخليج للتعليم
٥	٣٠ مارس	فيلم سينمائي فرنسي
٦	٦ أبريل	فيلم سينمائي فرنسي
٧	١٣ أبريل	فيلم سينمائي فرنسي
٨	١٨ أبريل	محاضرة بعنوان (الغرب والإسلام) باللغة العربية لمحاضر فرنسي
٩	١٩ أبريل	محاضرة بعنوان (الغرب والإسلام) باللغة الفرنسية لمحاضر فرنسي
١٠	٢٠ أبريل	محاضرة بعنوان (الشعر العربي الحديث بين الإسلام والشرق) باللغة العربية لمحاضر فرنسي

ومن خلال هذا الجدول يتضح أن نشاط المعهد غير التعليمي يأخذ اتجاهين:

الاتجاه الأول: نشر الثقافة الفرنسية من خلال الفيلم والمسرح والكلمة، ولكافة شرائح المجتمع.

الاتجاه الثاني: النشاط المكثف؛ إذ إن عشرة أنشطة خلال خمسة وعشرين يومًا تعتبر نشاطًا ملحوظًا.

تطور التعليم الخاص في البحرين

تطور التعليم الخاص (عدد المدارس)

بدأ التعليم الأجنبي في عام (١٨٩٢م) من خلال مدرسة واحدة (مدرسة الرجاء)، ومضى على بداياته ما يزيد على مائة سنة، تطور فيها تطورًا كميًّا محلوظًا؛ إذ بلغ عدد المدارس الأجنبية في البحرين في آخر إحصائية (٢٠٠٥م) خمسًا وخمسين مدرسة، بمعدل مدرسة في كل سنتين تقريبًا. [٦٣]

وهذا العدد الذي بلغ (خمسًا وخمسين) مدرسة يعتبر عاليًا؛ إذا ما قارناه بعدد السكان البالغ ٥٨٢ ألف نسمة؛ يشكل البحرينيون منهم ٦٣,٦٪

(٥٨) زيارة ميدانية للمعهد في يوم الاثنين ١٤٢٦/٤/٢٩هـ الموافق ٢٠٠٥/٦/٦م.
(٥٩) المصدر السابق.
(٦٠) المصدر السابق.
(٦١) زيارة ميدانية للمعهد في يوم الاثنين ١٤٢٦/٤/٢٩هـ الموافق ٢٠٠٥/٦/٦م.
(٦٢) نشرة صادرة عن المعهد باللغة الفرنسية Agend Culturel- mars- avril 2005 ، البرنامج الثقافي مارس، أبريل ٢٠٠٥م تمت ترجمتها للعربية .
(٦٣) إحصائية التعليم للعام ٢٠٠٤- ٢٠٠٥م، إدارة الإحصاء التربوي، وزارة التربية والتعليم، البحرين، ص١٥.

وبمساحة البلاد البالغة ٦٩٥ كم٢.

ولا تـزال المـدارس الأجنبية في ازديـاد مطرد ، خاصة أن الاسـتثمار في التعليم يعد واحدًا من أوجه الاسـتثمار الجيد والناجح.

تطور التعليم الخاص (عدد الطلاب):

شـهدت المـدارس الأجنبية في السـنوات الأخيرة إقبالاً كبيرًا من الطلاب على الالتحاق بها.

فمثـلاً في عـام ١٩٩٠م بلـغ عـدد الطـلاب (٢٢٤٠٦) طالبًـا ، وفي عـام ٢٠٠٤م بلـغ عـدد الطـلاب (٥٠٤٢٠) طالبًـا.. أي أصبحت نسـبة زيادة الطلاب خلال خمسـة عشر عامًا الضعف ونصفه.

معلومات إضافية

بدايات التعليم الأجنبي في العالم الإسلامي:

ارتبط التعليم الأجنبي منذ وفوده على البلاد الإسلامية كما ذكر جب في كتابه: (وجهة الإسلام): بالإرساليات التبشيرية، وتنسب بداية المحاولة إلى الأسباني (ريمون لول)، ثم أخذت الجمعيات التبشيرية في الانتشار في أواخر القرن ١٨ وأوائل الـ١٩ التي كان أحد أهم مناشطها التعليم، خاصة مع تحول الكنائس الكبرى في أوروبا من الإطار الكهنوتي البحت إلى الإطار التعليمي بإنشاء المدارس والمعاهد التابعة لها.

وقد بدأت الإرساليات تمارس نفس الدور في العالم الإسلامي، خاصة حين أخفقت الأساليب المباشرة للتبشير فشرعت في أداء الدور التعليمي، وخاصة بعد أن رأى المبشرون من خلال مؤتمراتهم وخبراتهم المتبادلة أن العمل في جانب الصغار أجدى بكثير من الكبار وفي جانب الفتيات أخطر منه في البنين.

انطلقت الشرارة الأولى في بيروت بإنشاء مدرسة للبنات في الإمبراطورية العثمانية سنة ١٨٣٠م؛ لأن البنات سيكُنَّ أمهات؛ فإذا تربَّيْن في هذه المدارس النصرانية أثرن على أولادهن!! وكانت تعنَى ببنات الأسر والبيوت الكبيرة اللاتي سيكون لهن السيطرة على الجيل المقبل؛ ولهذا قال بعض دعاتهم:«إن مدرسة البنات في بيروت هي بؤبؤ عيني»!!

وقد تركزت في لبنان جهود الأمريكيين، والفرنسيين، وقد كان للجامعة اليسوعية (الأمريكية فيما بعد) وجامعة القديس يوسف دور خطير في لبنان بالتقاط النابهين من نصارى الشام وبنائهم نماذج متغربة تعمل لحساب المشروع الغربي؛ حيث ارتبط كثير منهم بالمخطط الماسوني الهادف لإسقاط الدولة العثمانية وتفتيت العالم الإسلامي وغرس الدولة اليهودية في المنطقة.

وفي مصر عام ١٨٤٠م، ومن خلال البعثات التنصيرية قام «الآباء» بتأسيس «الكلية الفرنسية» بالإسكندرية و«الجمعية الإنجيلية البروتستانتية»، و«جمعية راهبات القلب المقدس» عام ١٨٤٥م، ثم تلتها «الإخوة المسيحيون» و«الفرير» عام ١٨٤٧م ثم الآباء اليسوعيون والجزويت ثم الفرنسيسكان ١٨٥٩م والميردي ديو (وتعني أم الله! تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا) ١٨٧٧م.

ثم تبعتها مدارس الآباء اليسوعيين عام ١٨٨٠م كمقدمة لاحتلال مصر في عام ١٨٨٢م، وقد بلغ عدد مجموع الطلاب من المسلمين ٧١١٧ طالبًا مسلمًا حتى عام ١٨٩١م، وهو رقم مذهل بمقاييس تلك الأيام وظروفها.

كان انتشار المدارس الأجنبية في مصر مكثفًا ومقصودًا؛ حتى إنها الآن تبلغ عشرات الآلاف من المدارس، ويشير مؤرخو المدارس الأجنبية إلى أن اليونانيين كانوا كلما حلوا في بلد أنشأوا فيه كنيسة ومدرسة، كما فعلوا في الإسكندرية عام ١٨٤٣م ثم في المنصورة، وطنطا، وبورسعيد، والسويس، والقاهرة وغيرها، وهكذا الجالية الإيطالية منذ عام ١٨٦٢م، والجالية الألمانية عام ١٨٦٦م، واليهود منذ عام ١٨٧٢م، والمارونيون السوريون، وكانت أولى الجاليات الجالية الأرمنية عام ١٨٢٨م في بولاق.

أما عن تعليم البنات فقد كان هناك مدرستان في أواخر العقد السادس من القرن الماضي للتعليم العام بحي الأزبكية: واحدة تابعة للكنيسة الأرثوذكسية، والأخرى تابعة لكنيسة الأقباط الإنجيليين. وفي عام ١٩٠٤م أنشأت الكنيسة القبطية أول مدرسة صناعية ببولاق.

- كما شهدت سوريا بالتزامن مع حالة لبنان ومصر جهودًا موسعة لفتح المدارس الإرسالية حتى كان نصيب سوريا وحدها من المدارس الأمريكية عام ١٩٠٩م: (١٧٤) مدرسة في المدن والقرى.

- وفي السودان قامت الكثير من أنواع المدارس والبعثات التنصيرية.

- وأما في جبال النوبة فقد استولت الإرساليات البريطانية على التعليم فيها منذ عام ١٩١٩م وحاصرت توسع الإسلام واللغة العربية، وأغلقت ما يفتح من المدارس الإسلامية حتى عام ١٩٣١م.

- وفي العراق: في أوائل القرن العشرين الميلادي كانت أول مدرسة تبشيرية في البصرة مدرسة للبنات، ثم انتشرت مدارسهم في أنحاء العراق.

- وهذا ما جرى عليه الحال في سائر بلاد الإسلام، خاصة البلاد التي دخلها الاستعمار.

وقد كان جُلّ اهتمام التنصير منصبًّا على مصر وباكستان تحديدًا؛ ولذا نالا قسطًا أكبر من الغزو عمومًا ومن خلال التعليم على وجه الخصوص. يقول (ستيف نيل) مؤرخ الكنيسة: «في العالم الإسلامي دولتان تمثلان أكبر أهمية بالنسبة للتنصير، هما باكستان ومصر، وسقوط إحداهما في قبضتنا يعني إزالة أكبر عقبتين من طريق الكنيسة».

وفيما يلي بعض الإحصائيات حول نشاط عدد من أشهر المدارس في باكستان تعطي صورة عن حجم النشاط وما يصبو إليه وما يمكن أن يحققه:

- ❖ في مدرسة القديس باتريك في كراتشي (٢١٠٠) طالب مسلم و(٤٠٠) نصراني!
- ❖ وفي مدرسة القديس يوسف (٢١٠٠) مسلم، و(١٠٠) نصراني!
- ❖ وفي مدرسة القديس لورانس (١٠٥٠) مسلمًا، و(١٥٠) نصرانيًّا!
- ❖ وفي مدرسة القديس جوز (١٠٠) مسلم، وليس فيها نصراني واحد.
- ❖ وفي مدرسة المسيح الملك (٧٠٠) مسلم، (٣٠٠) نصراني.
- ❖ وفي مدرسة القديس جون (٧٠٠) مسلم، (٢٠٠) نصراني.
- ❖ وفي مدرسة القديس بونا بونتشر في حيدر آباد (١٥٦٠) مسلمًا، و(٤٠) نصرانيًّا.
- ❖ وفي مدرسة القديسة ماري في حيدر آباد (١٥٥٨) مسلمًا، (١٣٩) نصرانيًّا.

- ولم يتوقف الأمر عند حدود مصر أو باكستان أو بلاد الشام، وإنما زحف نحو جميع البلاد في غفلة من المسلمين. وتشير الأرقام إلى وجود ٢٦٤ مدرسة تنصيرية في ماليزيا، وفي قطر هناك أكثر من ٣٠ مدرسة، وفي مدينة مقديشو وحدها أكثر من ثلاثين مدرسة من هذا النوع!

وطبقًا لإحصائيات عام ١٩٩١م توجد ١٦٥٠٠ مدرسة نصرانية في إفريقيا وحدها.

أما التعليم الجامعي فهناك ثلاث مؤسسات كان لها أبلغ الأثر في تحول كثير من أبناء الأمة عن دينهم وهم:

- جامعة القديس يوسف في لبنان، وهي جامعة بابوية كاثوليكية (تعرف الآن بالجامعة اليسوعية).

- الجامعة الأمريكية التي كانت من قبل تسمى (الكلية السورية الإنجيلية)، ثم كلية بيروت، وقد أنشئت في عام ١٨٦٥م، وهي جامعة بروتستانتية.

- الكلية الفرنسية في لاهور.

إلى جانب (كلية روبرت) في استطنبول، والكلية الأمريكية في القاهرة (الجامعة الأمريكية فيما بعد)، وكلية جوردن (البريطانية) في الخرطوم، وأخيرًا الجامعة الأمريكية الجديدة في الشارقة، وفي قطر.

ومن خلال هذا الجهد المكثف نجح التعليم الأجنبي بمدارسه وجامعاته في تخريج أجيال عملت على خدمة المصالح الغربية على تفاوت فيما بينها.

المصدر:

مهيمن عبد الجبار، التعليم الأجنبي.. مخاطر لا تنتهي!، مجلة البيان، العدد [١٧٤] بتاريخ (صفر ١٤٢٣ - مايو ٢٠٠٢م)، ص ١٨.

العلاقات الخليجية الإيرانية

د. ضيف الله الضعيان
أكاديمي وباحث سعودي

ملخص الدراسة

تُعد منطقة الخليج العربي إحدى أهم المناطق الاستراتيجية في العالم المعاصر، كما أنها في الوقت نفسه أكثر بقاع الأرض عرضة للنزاعات والاضطرابات؛ حيث تتشابك المصالح الاقتصادية العالمية مع المطامع الإقليمية، والتباينات العرقية والأيديولوجية. وتعتبر العلاقات بين الدول الخليجية وإيران ذات طابع خاص منذ القدم، فالأطماع الإيرانية في الخليج، ومحاولات السيطرة عليه مستمرة منذ قدوم الدولة الصفوية وسيطرتها على إيران، وتحويلها بالقوة إلى المذهب الشيعي، ومنذ ذلك الوقت لم يفتر الحماس الإيراني تجاه التوسع على حساب جيرانها من العرب.

وظهرت المزاعم الإيرانية بأحقيتها في البحرين، وفي عام ١٩٧١م قامت باحتلال ثلاث جزر إماراتية، ولم يتغير الأمر بقيام ثورة الخميني؛ إذ تأكد للجميع أن الأطماع الفارسية القديمة بالسيطرة على الخليج ودوله لم تندحر باندحار النظام الشاهنشاهي، بل تعززت وتعاظمت بامتزاجها بالفكر العقدي الرافضي. بدورها مثلت الحرب العراقية الإيرانية وحرب الخليج الثانية محطات بارزة في تاريخ هذه العلاقة الشائكة.

تقف عدة عوامل مؤثرة وراء استمرار التوتر بين دول الخليج وإيران، على رأسها: استمرار احتلال الجزر الإماراتية، والمحاولات المستمرة للسيطرة على الخليج، خاصة في ظل غياب توازن استراتيجي (عربي- خليجي- إيراني) في الوقت الراهن، والنزعة الإيرانية لتملك الأسلحة النووية، بجانب الهدف الذي ظل ثابتًا في قاموس السياسة الإيرانية، وهو تصدير الثورة إلى دول الجوار الخليجي.

ورغم مخاوف دول الخليج من تأثير التغلغل الإيراني في العراق، والتحذيرات الكثيرة من خطورة ترك الساحة العراقية للاستفراد الإيراني الشيعي؛ إلا إن الدول العربية، وعلى رأسها دول الخليج العربي، وقفت موقف المتفرج مما يجري في العراق، ومع ذلك فإنه لا يزال هناك متسع من الوقت لدول الخليج ومحيطها العربي أن تبادر لتفرض لنفسها -بما تملك من أوراق- دورًا أكبر في التأثير على مجريات الأمور داخل العراق.

قد يشير الوضع القائم اليوم إلى أن النظام الإقليمي في المرحلة المقبلة محسوم لصالح إيران؛ نظرًا لحجم الفجوة بين الطرفين، وقوة وأهمية الأوراق والخيوط التي يمسك بها كل منهما، ولكن ذلك ليس حقيقة مؤكدة الحدوث، فلدى إيران إشكالاتها العديدة والعميقة، وفي الوقت نفسه، يمسك الجانب الخليجي ببعض خيوط اللعبة، إن أحسن تحريكها واستخدامها.

العلاقات الخليجية الإيرانية

د. ضيف الله الضعيان
أكاديمي وباحث سعودي

مقدمة:

تعد منطقة الخليج العربي إحدى أهم المناطق الاستراتيجية في العالم المعاصر، كما أنها في الوقت نفسه أكثر بقاع الأرض عرضة للنزاعات والاضطرابات؛ حيث تتشابك المصالح الاقتصادية العالمية مع المطامع الإقليمية والتباينات العِرقية والأيديولوجية. ونظرًا لمخزونها الهائل من النفط الخام (٦٠٪ من الاحتياطي العالمي) إلى جانب الغاز الطبيعي، وهما المادتان الحيويتان لتقدم الدول الصناعية والاقتصاد العالمي بصفة عامة، واقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية - المستهلك الرئيس للنفط - بصفة خاصة. كما تتمتع بموقع جغرافي يشكل حلقة الوصل بين قارات العالم ومحيطاته وحضاراته، مما جعلها محط اهتمام الدول الصناعية والقوى الكبرى في الشرق والغرب، وستظل كذلك -والله أعلم- في المدى الزمني المنظور.

الخليج... عربي أم فارسي؟ ...إشكالية التسمية:

جميع الوثائق والخرائط والمعاهدات الدولية- تقريبًا- التي صدرت قبل عام ١٩٦٠م كانت تطلق على الخليج اسم «الخليج الفارسي». وأول من أطلق هذه التسمية «نيارخوس» قائد أسطول الإسكندر الأكبر (عام ٣٢٥ ق.م)، وكان قد عاد من الهند بأسطوله بمحاذاة الساحل الفارسي (الشرقي)، فلم يتعرف إلى الجانب العربي (الساحل الغربي) من الخليج. وبقي هذا الاسم متداولاً حتى تسربت التسمية للغرب عن طريق اليونان. وفي القرن الأول الميلادي أطلق المؤرخ الروماني بليني اسم «الخليج العربي» بعد أن عرف الساحل الغربي المحاذي للجزيرة العربية.[١]

أما اليونان فكانوا يطلقون هذه التسمية – الخليج العربي- على ما يعرف الآن بالبحر الأحمر، بينما أطلقوا على الخليج الفاصل بين الجزيرة العربية وإيران «الخليج الفارسي». وتبنت الخرائط الأوروبية هذه التسميات من العالمين اليونانيين الجغرافيين الشهيرين (Strabo and Ptolemy) سترابو وبتولمي. بل إن كثيرًا من الجغرافيين المسلمين في العصور الإسلامية الأولى تأثروا بهذه التسمية، فأطلقوا مسمى «بحر فارس» على هذا الخليج.[٢] إلا إن المراجع العربية القديمة حملت عدة تسميات أخرى للخليج أهمها؛ بحر العجم، خليج البصرة، خليج عمان، خليج البحرين، خليج القطيف، البحر الأدنى مقابل البحر الأعلى وهو البحر الأبيض المتوسط.[٣]

(١) د.محمود علي الدود؛ الخليج العربي والعلاقات الدولية. معهد الدراسات العربية العالمية، دار المعرفة، ج١

(٢) موقع http://www.iranian.com

(٣) أحمد العناني؛ جذور الحاضر الخليجي. قطر: دار المتنبي، ط الأولى، ١٩٨٣، ص٦

ومع صعود القومية العربية في بداية الستينيات، وازدياد الاهتمام العالمي بنفط الخليج، خصوصًا على الجانب العربي منه، شاع لدى العرب استخدام مسمى «الخليج العربي»، وأصبح هذا الاسم مقبولاً تدريجيًّا لدى الدول الغربية في التعاملات والقضايا الاقتصادية المتعلقة بالنفط.

الاسم المعتمد رسميًّا لدى دول الجامعة العربية هو «الخليج العربي»، كما تستعمله الأمم المتحدة-بصفة غير رسمية- في بعض وثائقها المكتوبة باللغة العربية. ومؤخرًا بعد ازدياد الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة، أصدرت وزارة الدفاع الأمريكية تعليمات لكافة قطاعاتها العسكرية العاملة في دول الخليج باستخدام اسم «الخليج العربي»، وإن بقي «الخليج الفارسي» هو الاسم المعتمد لدى الولايات المتحدة الأمريكية في المنشورات الرسمية.

أما إيران فتعتمد اسم «الخليج الفارسي»، بل تعارض ولا تعترف بأي تسمية أخرى.

التسمية...من منظور أكاديمي:

اعترف عدد من باحثي الغرب المنصفين بعروبة الخليج من الناحيتين الجغرافية والتاريخية. من هؤلاء المؤرخ الإنجليزي «رودريك أوين» الذي زار الخليج العربي، وأصدر سنة ١٩٥٧م كتابًا بعنوان «الفقاعة الذهبية – وثائق الخليج العربي»، وقد روى فيه أنه زار الخليج العربي، وهو يعتقد بأنه خليج فارسي؛ لأنه لم ير على الخرائط الجغرافية سوى هذا الاسم، لكنه حين تعرف إليه عن كثب، أيقن بأن الأصح تسميته «الخليج العربي»؛ لأن أكثر سكان سواحله من العرب. وقال: «إن الحقائق والإنصاف يقتضيان بتسميته الخليج العربي». [1]

يقول المؤرخ الدانيماركي كارستن نيبور، الذي جاب الجزيرة العربية عام ١٧٦٢م: «ومن المضحك أن يصور جغرافيونا جزءًا من بلاد العرب كأنه خاضع لحكم ملوك الفرس، في حين أن هؤلاء الملوك لم يتمكنوا قط من أن يكونوا أسياد ساحل البحر في بلادهم الخاصة. لكنهم تحملوا -صابرين على مضض- أن يبقى هذا الساحل ملكًا للعرب». [2]

أبرز المحطات التاريخية في العلاقات الخليجية الإيرانية:

- الأطماع الإيرانية القديمة في الخليج ومحاولات السيطرة:

كانت الأراضي الإيرانية خاضعة للدولة الإسلامية، ولم يبدأ انفصالها عنها إلا بقدوم الدولة الصفوية التي أسسها في أذربيجان «إسماعيل الصفوي»، عام ١٥٠٠م الذي بسط نفوذه على شروان والعراق وفارس، واتخذ من «تبريز» عاصمة لدولته. فرضت الدولة الصفوية المذهب الشيعي بالقوة على أهل السنة الذين كانوا أكثرية في في البلدان التي سيطرت عليها، وجعلته مذهب الدولة الرسمي. وبلغت الدولة الصفوية أوجها في عصر «شاه عباس الصفوي» (١٥٨٨-١٦٢٩م) الذي استعان بالإنجليز وأقام لهم مراكز، ومنحهم تسهيلات في إيران والخليج، وهم دعموه في حربه ضد الدولة العثمانية حين هاجمها، وحقق انتصارات عليها مستغلاً انشغالها في حربها مع النمسا في أوروبا. عمل الصفويون على تحويل الحجاج الإيرانيين من مكة إلى مشهد، وقد حج «الشاه عباس الصفوي» سيرًا على قدميه من أصفهان إلى مشهد؛ حيث ضريح الإمام «علي الرضا» الإمام الثامن لدى الشيعة الإمامية، ومنذ ذلك الحين أصبحت مشهد مدينة مقدسة عندهم. [3]

قضى العثمانيون والأفغان على حكم «الشاه حسين» آخر الشاهات الصفويين، وانتهت بزواله الدولة الصفوية الباطنية عام ١٧٢٢م (١١٤٩هـ)، وخلفهم الأفشاريون

(١) كتاب: Golden Bubble: The Arabian Gulf Documentary. المؤلف: Roderic Owen. الناشر: Collins لندن سنة ١٩٥٧.

(٢) رحلات في الجزيرة العربية وبلدان أخرى في الشرق. كارستن نيبور، ص١٣٨

(٣) د.عبد الله محمد الغريب؛ وجاء دور المجوس. ط٤ بدون ناشر، بدون سنة، ص٨٠ .

الذين اشتهر منهم «الملك نادر شاه»، الذي حاول التخفيف من الغلو الباطني الاثنا عشري الذي مارسه الصفويون، فأعلن عن المذهب الجعفري الذي ينسب إلى الإمام جعفر الصادق، واعتبره مذهبًا سنيًّا خامسًا.(١)

عُرف «نادر شاه» بشخصيته التوسعية، ومحاولاته لإنشاء إمبراطورية فارسية، فأسس أسطولاً بحريًّا تمكن من خلاله من فرض نفوذه في الخليج العربي فاحتل البحرين، وعين «آل مذكور» من قبيلة «المطاريش» العربية حُكامًا عليها، واستمر حكمهم للبحرين حتى عام ١٧٨٢م، إلى أن استولت عليها قبيلة العتوب التي ينتمي إليها حُكامها الحاليون (آل خليفة).

حاول نادر شاه احتلال عمان؛ ليعزز من سيطرته على مضيق هرمز، ولينتقم من العمانيين بسبب هجماتهم على الساحل الفارسي الجنوبي .

عاثت قوات نادر شاه الإيرانية الشيعية الفساد في عمان، وقتلت النساء والأطفال، ونهبت الأموال. وحين اضطر نادر شاه إلى العودة إلى إيران أكثر من مرة، لإخماد ثورات داخلية فيها، كان يعود بعدها إلى عمان ليجتاح معظم المدن العمانية، ابتداء من رأس الخيمة وحتى «العين» في البريمي، وغيرها من المدن الداخلية، حتى دخلوا مسقط، لكنهم لم يستطيعوا البقاء فيها؛ بسبب المقاومة الباسلة التي أبداها سكانها من العرب.

واستطاع أهل عمان وحُكامها -بعد أن نبذوا خلافاتهم ووحدوا جهودهم- أن يطردوا الفرس من كامل بلادهم.

وبعد اغتيال نادر شاه (الأفشاري) عام ١٧٤٧م، تراجعت إيران عن مركز الصدارة والقوة في الخليج؛ نتيجة الصراعات على السلطة في فارس، الأمر الذي أدى إلى خروج عدد من الأقاليم عن النفوذ الفارسي.(٢)

وبعد صراعات مستمرة مع الأفشار، آل الحكم في إيران منذ العام ١٧٩٤م إلى الأسرة القاجارية التي امتد حكمها حتى عام ١٩٢٥م، عندما أطاح رضا شاه بهلوي بأحمد شاه، آخر ملوكها. واستمر حكم آل بهلوي حتى قامت ثورة الخميني عام ١٩٧٩م.

البحرين والمزاعم الإيرانية الدائمة:

لم تتوقف المحاولات الإيرانية الفارسية للاستيلاء على البحرين، منذ أن تمكنت قبائل العتوب من طرد عرب بوشهر المرتبطين بالفرس عام ١٧٨٢م. إلا إنها لجأت إلى الأساليب السياسية عبر المطالبة بها من بريطانيا التي سيطرت على معظم منطقة الخليج خلال القرن التاسع عشر ومعظم القرن العشرين. وحين نفى وزير خارجية بريطانيا لابردين عام ١٨٤٠م أحقية إيران في الخليج أو في البحرين، أجابه «حلنجي ميرزا» رئيس وزراء إيران بمذكرة جاء فيها: «إن الشعور السائد لدى جميع الحكومات الفارسية المتعاقبة، أن الخليج الفارسي من بداية شط العرب إلى مسقط، بجميع جزائره وموانيه بدون استثناء ينتمي إلى فارس، بدليل أنه خليج فارسي وليس عربيًّا».

عاثت قوات نادر شاه الإيرانية الشيعية الفساد في عمان، وقتلت النساء والأطفال، ونهبت الأموال. وحين اضطر نادر شاه إلى العودة إلى إيران أكثر من مرة، لإخماد ثورات داخلية فيها، كان يعود بعدها إلى عمان ليجتاح معظم المدن العمانية

وفي ١٩٥٧/١١/١١ أعلنت إيران إلحاق البحرين بالتقسيمات الإدارية لإيران، معتبرة إياها المحافظة الرابعة عشرة. وفي عام ١٩٥٨م خصصت إيران مقعدين في برلمانها للبحرين، شغلهما بحرينيان من أصل فارسي. كما نجحت إيران في منع البحرين من الانضمام إلى منظمة الدول المصدرة للنفط «أوبك»، ورفضت الاعتراف بجوازات السفر الصادرة منها. كما كانت المناهج المدرسية الإيرانية تلقن تلاميذها بأن البحرين جزيرة إيرانية، وأن رعاياها إيرانيون، كما أن

(١) د.محمد حسن العيدروس؛ دراسات في العلاقات العربية الإيرانية. دار الكتاب الحديث ط١، ١٩٩٩م ص١٢.

(٢) د.محمد حسن العيدروس؛ التدخل الفارسي في الشئون العمانية. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت العدد ٥٥، ١٩٨٨م ص١٥٠.

الصحف الإيرانية دأبت على التحريض والادعاء بفارسية البحرين.[1]

حين أعلنت بريطانيا في يناير عام ١٩٦٨م عزمها على الانسحاب من الخليج، حاول حكام طهران تحقيق أطماعهم القديمة، إلا إن كلاً من بريطانيا التي تسعى إلى بقاء مصالحها في المنطقة، والولايات المتحدة الأمريكية القادم الجديد إلى المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية، حالتا دون أطماع الساسة الإيرانيين. فقد مارست كلتا الدولتين - وهما حليفتان لشاه إيران- ضغوطًا عليه للتخلي عن مطالبه، مقابل تعاون تجاري واقتصادي أفضل مع الدول الخليجية الأخرى، وتحقيق مطالب أخرى له ومطامع في المنطقة، الأمر الذي أجبر الشاه في عام ١٩٧٠م على التخلي عن مطالبه، والقبول بقرار مجلس الأمن المبني على تقرير بعثة الأمم المتحدة لتقصي الحقائق، التي أكدت رغبة أغلبية الشعب البحريني في الاعتراف بهويته العربية في دولة مستقلة ذات سيادة، وحرة في تقرير علاقاتها بالدول الأخرى.

لم تنته الأطماع الإيرانية في البحرين بقبول الاستفتاء والتحكيم الدولي، وظهرت فارسيتها المقيتة في أول فقرة من دستورها. ولا يزال الإيرانيون الفرس الذين تسربوا إلى البحرين عبر السنين، ويشكلون نسبة معتبرة من سكانها، يدينون بالولاء لمرجعياتهم ويولون وجوههم شطر قم ومشهد وطهران.

احتلال الجزر الإماراتية:

يعود تاريخ احتلال إيران للجزر الثلاث: أبو موسى، وطنب الكبرى وطنب الصغرى إلى ما قبل قيام اتحاد الإمارات العربية السبع بأقل من أسبوع، أي في ١٩٧١/١١/٣٠م، وقبل يوم واحد من انسحاب بريطانيا، التي أعطت إيران الضوء الأخضر لاحتلالها، وذلك لفرض أمر واقع على الاتحاد الوليد. وكانت حكومات إيران المتعاقبة قد قامت بعدة محاولات للسيطرة على هذه الجزر وغيرها في الخليج منذ مطلع القرن العشرين، إلا إن تلك المحاولات كانت تبوء بالفشل.

تبلغ مساحة جزيرة أبو موسى التي تتبع لإمارة الشارقة، ٣٢ كم٢، وتبعد عن سواحلها بنحو ٤٥ كم، وعن الساحل الإيراني ٧٠ كم، أما جزيرة طنب الكبرى (٨٠ كم٢) وطنب الصغرى (٤ كم٢) فهما يتبعان لإمارة رأس الخيمة القريبة من مضيق هرمز. وليست أهمية هذه الجزر بمساحاتها، فهي جزر صغيرة، ولا بعدد سكانها، فهو ضئيل، بل تكمن أهميتها، بموقعها الاستراتيجي قرب مضيق هرمز، فجزيرة أبو موسى بالنسبة لإيران، تقع في وسط ممر ناقلات النفط الخليجي والإيراني. كما أنها تصلح قاعدة عسكرية بحرية وبرية في نفس الوقت، إلى جانب اكتشاف النفط فيها. وكانت إمارة الشارقة رضخت للأمر الواقع، وعقدت معاهدة مع إيران في نوفمبر ١٩٧١م بشأن الجزيرة، تنص على اقتسام عائدات النفط فيها بين البلدين، وعلى مساهمة إيران في تنمية الجزيرة، وبقاء سكانها تحت سلطة حكومة الشارقة، مع بقاء علم الشارقة مرفوعًا على الجزيرة.[2]

رغم أن احتلال إيران للجزر الثلاث يشكل مصدر توتر في العلاقات بينها وبين دول الخليج، إلا إنها ترفض مبادرات الوساطة التي تطلقها دول مجلس التعاون

ورغم أن احتلال إيران للجزر الثلاث يشكل مصدر توتر في العلاقات بينها وبين دول الخليج، إلا إنها ترفض مبادرات الوساطة التي تطلقها دول مجلس التعاون، بل وتقابلها بمثل قول المتحدث باسم الخارجية الإيرانية: «إن جزر الخليج هي إيرانية إلى الأبد، وهي جزء لا يتجزأ من الجمهورية الإسلامية»، كما أنها ترفض التحكيم الدولي، وتصر على التفاوض الثنائي بشأنها مع الإمارات.[3]

(١) د.عبد الله محمد الغريب؛ وجاء دور المجوس. ط٤ بدون ناشر، بدون سنة، ص٣٠٢.

(٢) أيمن مجاهد؛ حروب قادمة على الحدود العربية والإسلامية. دار الصحوة للنشر، ط١ ، ١٤١٥هـ، ص٦٧.

(٣) د. سعد حقي توفيق؛ علاقات العرب الدولية في مطلع القرن الحادي والعشرين. دار وائل للنشر، ط١، ٢٠٠٣م ص٣٢٢.

تجدر الإشارة إلى أن إيران تحتل جزرًا عربية أخرى، مثل جزيرة «صرى» الواقعة بين أبو ظبي والشارقة عام ١٩٦٤م، وأنشأت فيها مطارًا حربيًّا، وجزيرة «هنجام» القريبة من رأس الخيمة في عام ١٩٥٠، وجزيرة «الغنم» التابعة لعمان. وتطالب بثلاث جزر في الكويت، ولها مع الكويت والسعودية نزاعات حدودية بشأن الجرف القاري الواقع في المنطقة الحدودية البحرية بين البلدين وإيران.

قيام الثورة ومحاولات تصديرها إلى دول الخليج:

بقيام الثورة (الإسلامية) التي قادها الخميني، وبسقوط الشاه الذي كان يمثل شرطي أمريكا في المنطقة، استبشر كثيرون في الوطن العربي وفي منطقة الخليج فخُدعوا بأهداف الثورة المعلنة التي روّجت لفكرة الوحدة الإسلامية، كما استهوتهم الشعارات التي رفعها الخميني للوقوف مع الدول الإسلامية ضد الحركة الصهيونية وإسرائيل والدول الاستعمارية. أما على المستوى الرسمي، فقد اعترفت دول الخليج بثورة الخميني، وأبرق زعماؤها له ولرئيس وزرائه «بازركان» مهنئين، وزارت طهران وقم وفود سياسية ودينية خليجية رسمية.

لم تسر الأمور كما توقعها الحالمون والمخدوعون، فالوجه الفارسي الكالح للثورة بدأ يتكشف، وسوأتها الشيعية المتعصبة لم تعد تسترها شعاراتها البراقة عن التضامن والوحدة الإسلامية، وعلاقاتها السرية بالشيطان الأكبر -الولايات المتحدة الأمريكية- وإسرائيل لم تعد سرًّا يخفى.

واكتشف هؤلاء أن الأطماع الفارسية القديمة بالسيطرة على الخليج ودوله لم تندحر باندحار النظام الشاهنشاهي، بل تعززت وتعاظمت بامتزاجها بالفكر العقدي الرافضي، حتى قال الخميني :«إننا نواجه الدنيا مواجهة عقائدية».[1] بل قد أعلن اثنان من آيات الله في حكومة الخميني، هما آية الله خلخالي وآية الله روحاني «أن إيران تزمع تصدير الثورة (الإسلامية) الإيرانية إلى العالم ابتداء من دول الخليج».[2]

نظرًا لقربه من إيران من ناحية وكثرة الوجود الشيعي في دوله من ناحية أخرى، كان من الطبيعي أن يقع اختيار الثوار الجدد في طهران على الخليج ليكون أول منطقة يستعرضون فيه عضلاتهم الأيديولوجية.

فاتجهت العلاقات بين إيران الخميني ودول الخليج نحو التأزم والتوتر، على إثر التهديدات التي أطلقها قادة الثورة لبعض دول الخليج العربي، واتهامها بأنها أدوات للاستعمار الأمريكي، وتصريحات الخميني بأن الإسلام لا يتفق مع النظام الملكي (وهو الشكل السائد للحكم في المنطقة). وبلغت هذه التصريحات ذروتها في تهديد «آية الله صادق روحاني» للبحرين، بأنه سيتولى من إيران منصب مرشد الثورة فيها، ومزاعمه بأن شعبها لا يرغب في أميرٍ سني. ورغم محاولات المسئولين الإيرانيين النأي بأنفسهم عن تصريحات روحاني، إلا إن بيانات وخطب المحيطين بالخميني نفسه والمطبوعات التي يصدرها أتباعه حتى قبل انتصار الثورة، كانت تبشر بسقوط الأنظمة الخليجية.[3]

رافق الثورة في إيران تحرك شيعي في العراق وفي عدد من دول الخليج العربي، ويقود هذا التحرك أنصار الخميني الذين هم من أصول فارسية، فضبطت السلطات في مختلف دول الخليج كميات كبيرة من الأسلحة جرى تهريبها إلى داخل هذه البلدان، على شكل أدوية أو بضائع من لبنان عن طريق سوريا بواسطة شبكات محترفة.

وفي المنطقة الشرقية من السعودية التي تقطنها الطائفة الشيعية، تحرك هؤلاء على إثر انتصار ثورة الخميني وواجهوا السلطات المحلية مواجهة عسكرية، فاضطرت الحكومة السعودية إلى التعامل معهم بحزم.

(١) برنامج «زيارة خاصة» قناة الجزيرة بتاريخ ٢٠٠٠/١/١٧م.

(٢) كمال محمد الأسطل؛ نحو صياغة نظرية لأمن دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد٣٣ ، ط١، ١٩٩٩م، ص١٠٤.

(٣) د.عبد الله محمد الغريب؛ وجاء دور المجوس. ط٤ بدون ناشر، بدون سنة، ص٣٣٧.

الحرب العراقية الإيرانية:

اندلعت الحرب العراقية الإيرانية بعد ثمانية عشر شهرًا فقط من قيام الثورة، أي في أيلول سبتمبر ١٩٨٠م، في مؤشر إلى حجم التوتر والقلق الذي أحدثه انتصار الخميني وأتباعه في المنطقة. وكان من الطبيعي أن تشعر دول الخليج بالقلق من حرب شرسة تدور رحاها بين أقوى دولتين مطلتين على الخليج العربي، فإلى جانب الآثار المباشرة للحرب، فإن المنتصر منهما سيشكل خطرًا على أمن هذه الدول وسلامتها، خصوصًا وأن مسائل الحدود بين كل من العراق وإيران وبين دول الخليج لم تُحسم بعدُ، وهذا ما حدث بالفعل حين اجتاحت جيوش صدام - الذي شعر بنشوة النصر على إيران - الكويت بعد سنتين من توقف حربه مع طهران.

وفي ظل تجاهل دولي لهذه الحرب، بل ومحاولات تسعيرها أحيانًا، عبر إمداد الطرفين بالأسلحة والذخائر وقطع الغيار- سرًّا وجهرًا - سعت دول المجلس لإيقاف الحرب عبر وساطاتها الدبلوماسية وعلاقاتها بطرفي النزاع، وعبر طرح موضوع الحرب في مختلف المحافل الدولية والإقليمية، ووعد إيران بتعويضات ضخمة إن هي أوقفت الحرب. إلا إن وساطتها باءت كلها بالفشل بسبب التعنت الإيراني.

لم تكن دول الخليج ترغب في تأييد العراق، الذي تعرف نزعته التوسعية في ظل حكم صدام حسين، إلا إن التعصب الفارسي والانحياز الطائفي الذي أبداه قادة الثورة في طهران، لم يترك لها مفرًّا من مساندة العراق. فكانت السعودية والكويت هما الدولتان اللتان تولتا الدور الأساس في تغذية آلة الحرب العراقية، بما يزيد عن ٣٥ مليار دولار أمريكي.(١)

اتجهت العلاقات الإيرانية الخليجية نحو التأزم بدرجة أكبر، فطلبت السعودية من أمريكا تزويدها بطائرات استطلاع متقدم من طراز «أواكس»، وزادت من حجم القوات الباكستانية المرابطة في أراضيها. واتخذ التصعيد بعدًا آخر، حين ضربت إيران الكويت بالصواريخ عام ١٩٨٧م، وسمحت باقتحام سفارتي الكويت والسعودية في طهران، وبعد حوادث الحجاج الإيرانيين في الحرم المكي في حج عام ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م).(٢)

زادت الولايات المتحدة من حجم تدخلها العسكري في منطقة الخليج تحت ستار حماية السفن الكويتية، خلال عام ١٩٨٧م، ووجدت إيران - التي كادت أن تحقق اختراقًا عسكريًّا ضد العراق - نفسها معزولة عن العالم. وفي الداخل الإيراني، تراجع التأييد الشعبي للحرب، واشتدت الضغوط العسكرية الأمريكية والعراقية، فاضطرت إيران للقبول بوقف إطلاق النار الذي أقرته الأمم المتحدة في تموز/يوليو ١٩٨٨م.(٣)

حرب الخليج الثانية والتقارب الخليجي الإيراني:

اعتبر الإيرانيون غزو العراق للكويت، فرصة ذهبية للخروج من عزلتهم الدولية. فقد استطاعوا توظيف الأحداث التي خلَّفتها مغامرة صدام لصالحهم بشكل جيد، مما عاد عليهم بكثير من المكاسب السياسية والاقتصادية. فصدام الذي مزَّق اتفاقية الجزائر الموقعة بين البلدين، وخاض على إثرها ثمانية أعوام من الحرب، عاد ليعترف بالاتفاقية بعد غزوه للكويت، وانسحب من الأراضي الإيرانية (٢٥٠٠ كم٢) التي كان يحتلها منذ توقف حرب الخليج الأولى، كما وافق على عودة ٤٠ ألف أسير إيراني إلى بلادهم. وسمحت إيران بعودة العلاقات الدبلوماسية مع بغداد لتعود معها رحلات الشرك إلى (مقدساتهم) في النجف وكربلاء. ووعد صدام حسين بحل المنظمات الإيرانية المعارضة التي تعمل في العراق منذ قيام الثورة، وعلى رأسها جماعة مجاهدي خلق.

(١) جمال سند السويدي؛ إيران والخليج البحث عن الاستقرار: سياسة إيران في الخليج من المثالية والمجابهة إلى البراجماتية والاعتدال: محسن ميلاني. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط١ ١٩٩٦م، ص١٢٥.

(٢) د. عبد الله الأشعل؛ العلاقات الدولية لمجلس التعاون. ط١، دار السلاسل للطباعة والنشر، ١٩٩٠م، ص١٥٩.

(٣) جمال سند السويدي؛ إيران والخليج البحث عن الاستقرار: سياسة إيران في الخليج من المثالية والمجابهة إلى البراجماتية والاعتدال: محسن ميلاني. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط١ ١٩٩٦، ص١٢٦.

على الصعيد الخليجي، كانت طهران - خلال الأشهر الأولى التي أعقبت غزو الكويت - مزارًا للعديد من المسئولين الخليجيين الذين قدَم بعضهم - الكويت تحديدًا- الاعتذار عن مواقف بلاده الداعمة للعراق في حربه مع إيران، بل ووعدوا طهران بتعويضات عن هذه الحرب. وأعادت الرياض علاقاتها الدبلوماسية المقطوعة مع طهران. وفي إطار المكاسب الإيرانية من تلك الأزمة، دعا قادة مجلس التعاون خلال قمتهم التي عقدوها في الدوحة بعد اجتياح الكويت، إلى تعزيز التعاون بين دول المجلس وإيران. (١)

لقد كانت أزمة الكويت، البوابة التي ولجت منها إيران إلى الخليج، بل إلى العالم العربي بأسره؛ حيث أعادت عدد من الدول العربية علاقاتها الدبلوماسية مع طهران. وكان رحيل الخميني ومجيء الرئيس رفسنجاني، الذي يوصف بالبراجماتية حافزًا آخر لبث الدفء في العلاقات الخليجية الإيرانية، التي ثمَّنت لطهران رفضها للعدوان العراقي، ووقوفها إلى جانب قرارات الأمم المتحدة التي تطالب بانسحاب العراق من الأراضي الكويتية، إلى جانب التزامها بالحصار الاقتصادي الذي فرض على بغداد.

عوامل التوتر الدائمة بين دول الخليج وإيران:

- احتلال الجزر:

تعد مشكلة الجزر الإماراتية الثلاث، التي ترفض طهران إحالة ملفها إلى محكمة العدل الدولية أو مجلس الأمن، عاملاً رئيسًا من عوامل التوتر بينها وبين دول الخليج، ومن المستبعَد في المدى المنظور أن تتنازل إيران عن هذه الجزر أو عن بعضها، خصوصًا في ظل ضعف دول الخليج، وغياب الإرادة الدولية عن التعامل بجدية مع هذا الملف. ولا يختلف قادة طهران - إذا تعلق الأمر بالسيطرة الفارسية والتوسع على حساب دول الجوار- بين راديكالي محافظ وبارجماتي أو إصلاحي، فهذه التصنيفات، لها علاقة بالساحة الداخلية الإيرانية، أكثر مما تتعلق بالسياسة الخارجية. فالرئيس رفسنجاني، الذي يوصف بالبراجماتية، قام بنفسه بزيارة مفاجئة لجزيرة أبو موسى عام ١٩٩٢م، ثم قامت قوات الحرس الثوري باحتلال كامل الجزيرة ونشر قوات إيرانية فيها، وإغلاق المدارس الإماراتية، ومضايقة السكان العرب، والقيام بمناورات بحرية استفزازية، رغم ارتباط إمارة الشارقة بمعاهدة اقتسام

أبرز عوامل التوتر الدائمة بين دول الخليج وإيران

(١) ضيف الله الضعيان؛ أساليب حكام إيران في مواجهة أزمة الخليج. مجلة السنة، العدد السابع، نوفمبر ١٩٩٠م.

الجزيرة التي أبرمتها مع حكومة الشاه. ولم يحرك الرئيس خاتمي «الإصلاحي» - الذي امتدت فترة رئاسته لثمان سنوات وأعاد جوًّا من الدفء للعلاقات الخليجية الإيرانية - شيئًا يُذكر بشأن هذا الملف، بل قد صرّح المتحدث باسم وزارة خارجيته، حميد رضا آصفي بأن «هذه الجزر جزء لا يتجزأ من الأراضي الإيرانية وستبقى كذلك الى الأبد». وتجدر الإشارة إلى أن النزاع بين إيران ودولة الإمارات على الجزر، لم يمنع هذه الأخيرة من أن تكون الشريك التجاري الأول لإيران، التي يقدر حجم جاليتها في الإمارات بنحو نصف مليون نسمة، وهناك ما يقرب من ست آلاف وخمسمائة شركة إيرانية تعمل في دولة الإمارات.(١)

- محاولات السيطرة على الخليج:

لقد باتت إيران هي القوة الإقليمية الأقوى، ومن دون منافس بعد زوال غريمتها العراقية، وبعد سيطرة حلفائها وشيعتها على حكم بغداد، وهي ترى أن قضية الأمن في منطقة الخليج العربي قضية تخص الدول المطلة عليه - أو كما كان الشاه يسميها «الدول المشاطئة» - وبالتالي ترفض الوجود الأجنبي، الذي تعتبره مصدر التهديد الأساس لأمنها. لذلك فهي تطالب بالمشاركة في الترتيبات الدفاعية لدول مجلس التعاون. وبالمقابل تدرك دول الخليج أن السياسة الإيرانية تجاه الخليج تهدف إلى الهيمنة عليه، في ظل غياب توازن استراتيجي عربي-خليجي -إيراني في الوقت الراهن.

ومما يزيد المخاوف الخليجية والعربية، هو السعي الإيراني الدءوب لتعظيم قدراتها العسكرية التقليدية وغير التقليدية، وعلى رأسها البرنامج النووي الإيراني. إن هذه المخاوف، التي تستعيد من الذاكرة القريبة تجربة العراق والكويت، هي التي دفعت بعض دول الخليج إلى توقيع اتفاقات أمنية مع عدد من الدول الأجنبية – كما ذكر آنفًا- وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية والسماح لها بقواعد عسكرية دائمة، أو على الأقل بتسهيلات وإمدادات لوجستية لأساطيلها الجوية والبحرية. كما عقدت مختلف دول الخليج صفقات تسلح ضخمة مع الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول الصناعية، قد تفوق قدرة جيوشها الصغيرة على استيعابها والاستفادة منها. إن هذه النظرة المتناقضة للطرفين حول أمن الخليج ودوله، ستظل مصدرًا دائمًا للتوتر بين ضفتي الخليج العربي.

- تثوير شيعة الخليج:

رغم الخلافات الأيديولوجية في صفوف الزعامات الإيرانية التي هيمنت على عرش الثورة منذ قيامها، ورغم تعقيد المسرح الديني والسياسي في إيران، إلا إن الهدف الذي ظل ثابتًا في قاموس السياسة الإيرانية، هو تصدير الثورة إلى دول الجوار الخليجي. ويمارس الساسة الإيرانيون وما يسمى (برجال الدين) تبادل الأدوار في خدمة هذا الهدف، حتى أولئك الذين يوصفون بالمعتدلين، يخططون ويعملون لتقوية ودعم الأقليات الشيعية في دول الخليج، وإن اختلفت أساليبهم عن الثوريين المتشددين.

لقد بات في حكم المشتهر، ذهاب الآلاف من شيعة السعودية إلى سوريا كل صيف ومنها إلى إيران، حيث تتعاون السفارة الإيرانية وسلطات الجوازات السورية معهم بمنحهم جوازات سفر غير سعودية، أو توضع أوراق خارجية ترفق بجوازاتهم يتم ختم الدخول والخروج إلى إيران عليها، ثم تنزع بعد عودتهم إلى سوريا. يقضي هؤلاء الشباب فترة شهرين، في إيران يتدربون فيها في معسكرات الحرس الثوري الإيراني على مختلف أنواع الأسلحة وفنون القتال، ويتلقون مزيدًا من التعبئة والشحن الطائفي. كما أن أعدادًا من هؤلاء يجري تدريبهم في معسكرات حزب الله في سهل البقاع اللبناني(الواقع تحت السيطرة السورية إلى عهد قريب).

يقول عادل الأسدي ينيا الذي كان سفيرًا لطهران في البرتغال ثم مستشارًا لوزير الخارجية في طهران، وبعدها قنصلاً عامًّا لإيران في دبي، ثم طلب اللجوء السياسي في بريطانيا عام ٢٠٠٢م: «توجد خلايا إيرانية نائمة في الخليج حيث تدرب إيران مواطنين من دول خليجية معظمهم من

(١) موقع المعرفة شبكة الجزيرة www.aljazeera.net.

الشيعة، وتتصل بهم ليأتوا إلى إيران، ويخضعوا لتدريب عسكري وأمني، ثم بعد ذلك يرجعونهم إلى بلدانهم في وضع جاهز لتنفيذ ما تأمرهم به إيران»، ويقول: «الخلايا النائمة كثيرة جدًّا، وعملهم الآن يتركز على نقل أخبار وأمور أخرى للحكومة الإيرانية، وستستيقظ الخلايا وفق حاجة الحكومة الإيرانية».(١)

وهم في مطالبهم تلك وتحديهم للسلطات المحلية في دول الخليج، خصوصًا في البحرين والسعودية والكويت، يجدون التأييد من طهران، التي لا يفتر قادة هذه الأقليات وزعماؤها من التردد عليها تحت سمع وبصر سلطات بلدانهم، وفي نفس الوقت لا يزال تجارهم الذين يسيطرون على حصة ضخمة من تجارة الخليج يبعثون «بخُمُسهم» وهباتهم إلى آيات قم الذين يعيدون تدوير هذه الأموال لتصب في خدمة برامج تصدير الثورة. ومما يندرج في هذا السياق، ويثير جوًّا من التوتر بين دول الخليج وغيرها من الدول العربية من جهة، وحكومة طهران من جهة أخرى، الدعم المالي والسياسي والعسكري غير المحدود الذي تقدمه إيران لما يسمى بـ «حزب الله» الشيعي في لبنان، الذي يسعى إلى السيطرة على المشهد اللبناني.

يضاف إلى نقاط التماس بين الطرفين، التغلغل الشيعي المحموم المدعوم من إيران - خصوصًا في ظل حكومة الرئيس محمود أحمدي نجاد ذي التوجهات الثورية - في بلاد الشام كلها ومصر والسودان ودول المغرب العربي واليمن وغيرها، الذي أصبح في الآونة الأخيرة حديث النخب في هذه البلدان، وهو موضوع قائم بذاته وجدير بالدراسة والرصد والتحليل.

- البرنامج النووي الإيراني:

تتمسك دول الخليج بمبدأ منع إيران من امتلاك القدرات النووية العسكرية، وهذا نابع من حقيقة الموقف السياسي والمذهبي لهذه الدول، الذي سيجعل منها ومن شعوبها الضحية المحتملة والهدف الرئيس للضغوط السياسية والعسكرية الناتجة عن انضمام إيران للنادي النووي، الذي من شأنه إحداث تغيير جذري في ميزان القوى الإقليمي. كما أن الموقع الجغرافي، سيجعل دول الخليج ومياه الخليج أول المتضررين من أي تسرب نووي عرضي أو متعمد.

والسيناريو المفضل لدول الخليج، هو أن يتمكن المجتمع الدولي من تفكيك البرنامج النووي الإيراني بالوسائل الدبلوماسية والضغوط الاقتصادية، لكن هذا الخيار أثبت عدم جدواه عبر السنوات الماضية؛ نتيجة التشبث الإيراني بهذا البرنامج. وما تخشاه دول الخليج، أن تلجأ أمريكا أو إسرائيل إلى خيار العمل العسكري لمنع طهران من امتلاك هذا السلاح الاستراتيجي، وهو الخيار الذي قد يشمل مواقع التخزين ومنشئات تصنيع ومنصات الصواريخ الإيرانية بعيدة المدى، وذلك لمنع قيام إيران بعمل انتقامي فوري. لكن دول الخليج تدرك أن إيران وإن عجزت عن منع الضربة المحتملة لمنشئاتها، فإنها ستنتهج استراتيجية رد الفعل الانتقامي، الذي قد يستهدف الدول الخليجية، التي هدد أكثر من مسئول إيراني باستهدافها إن هي قدمت أي تسهيلات لأمريكا. ولذلك فدول الخليج ستكون حذرة من استخدام أمريكا لأراضيها لتنفيذ الهجوم المحتمل، وهي تؤكد دائمًا على الخيار السلمي لحل هذه المشكلة.(٢)

والسيناريو المفضل لدول الخليج، هو أن يتمكن المجتمع الدولي من تفكيك البرنامج النووي الإيراني بالوسائل الدبلوماسية والضغوط الاقتصادية، لكن هذا الخيار أثبت عدم جدواه عبر السنوات الماضية.

تأثير التغلغل الإيراني في العراق على المصالح السياسية لدول الخليج:

في ٢٠٠٣/٤/٩م سقطت بغداد بأيدي القوات الأمريكية وحلفائها، وتشكل مجلس الحكم الذي سيطرت عليه الأحزاب الشيعية التي تأسست وارتبطت

(١) محمد سرور زين العابدين؛ صفحات من تاريخنا المعاصر: أأيقاظ قومي أم نيام ..؟ دار الجابية لندن، ط١ ، ١٤٢٨هـ ، ص٩٣.

(٢) مصطفى العاني؛ الموقف المحتمل لدول مجلس التعاون الخليجي تجاه سيناريو العمل العسكري ضد المنشئات النووية الإيرانية. مركز الخليج للأبحاث ط١ ، ٢٠٠٤م.

بإيران أثناء فترة المعارضة لنظام صدام حسين. فالمجلس الأعلى الإسلامي العراقي أسسته المخابرات الإيرانية سنة ١٩٨٢م إبان الحرب مع العراق، وغالب مكوناته من الجماعات المنفية في إيران، ويرتبط مع هذه الأخيرة بوشائج ثقافية وعاطفية، وأتباعه من المنبهرين بالنموذج الثوري الإيراني. وعائلة الحكيم التي تسيطر عليه، عائلة إيرانية، وأول شيء طالب به عبد العزيز الحكيم حين استلم دورة مجلس الحكم، هو تعويض إيران بـ ١٠٠ مليار دولار عن الحرب التي دارت بينها وبين العراق، بينما يطالب الدول العربية بإلغاء ديونها! وحزب الدعوة إيراني التأسيس والانتماء، وأول قرار اتخذه الجعفري عند توليه الوزارة: إطلاق ٤٠٠ معتقل إيراني، بينما كانت سجونه تعج وتضج بمعتقلي أهل السنة العراقيين. والمرجع الشيعي الأعلى «علي السيستاني» إيراني من مدينة سيستان، ويحمل جواز سفر إيراني، وقد أصدر فتواه الشهيرة بتحريم مقاومة الاحتلال الأمريكي للعراق.

أول شيء طالب به عبد العزيز الحكيم حين استلم دورة مجلس الحكم، هو تعويض إيران بـ ١٠٠ مليار دولار عن الحرب التي دارت بينها وبين العراق، بينما يطالب الدول العربية بإلغاء ديونها!

حرص الأمريكان على إطلاع إيران والتنسيق معها في غزو بغداد، والطلب منها عشية الغزو – عبر عملائها في العراق- تحريك الميليشيات الشيعية التي دربها الحرس الثوري الإيراني، ومن أهما فيلق بدر (٢٥ ألف مقاتل) التابع للمجلس الأعلى، وذلك للسيطرة على الأراضي العراقية في الجنوب، بعد أن يعبرها الجيش الأمريكي نحو بغداد.

ويأتي هذا التعاون الأمريكي الإيراني استجابة لدعوات عدد من الكتاب والمخططين الأمريكيين، الذين طالما كتبوا الكتب والمقالات التي تدعو الإدارة الأمريكية لضرورة التفاهم والتعاون مع إيران، وعلى رأسهم ثلاثة من كبار العقول الاستراتيجية الأمريكية، هم « زبغنيو بريجنسكي» و «برنت سكوكروفت» مساعدا الرئيس الأمريكي للأمن القومي السابقين، و «ريتشارد ميرفي» سفير أمريكي سابق ومساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا.(١)

لقد تبين لهؤلاء المفكرين عبر قراءتهم للتاريخ ورصدهم وتحليلهم في مراكز دراساتهم الاستراتيجية، أن الشيعة عمومًا والفرس منهم على وجه التحديد، برغم الجلبة الإعلامية والضجيج الذي يصدرونه ضد أمريكا وإسرائيل، إلا إنهم – إذا تعلق الأمر بالتحالف مع الأجنبي للهيمنة على أهل السنة وعلى العرب وقهرهم- فهم حلفاء أوفياء يوثق بهم. وهذا ما حدث فعلاً بعد سقوط بغداد؛ إذ تحالف الصليبيون واليهود مع الفرس الصفويين، ضد العرب من أهل السنة في حرب إبادة وتطهير عرقي بشع، وعاثت المخابرات وفرق الاغتيالات الإيرانية بأهل السنة قتلاً وفسادًا تحت سمع وبصر القوات الأمريكية والبريطانية.

إن هذا التحالف القذر بين الرافضة وأعداء الأمة هي الحقيقة التي كشف عنها بنظرته الثاقبة وألمعيته المعروفة شيخ الإسلام ابن تيمية، قبل أن يعرفها دهاقنة الغرب ومفكروهم، ولكنَّ قومي لا يقرأون، يقول رحمه الله:

«... فالرافضة يوالون من حارب أهل السنة والجماعة ويوالون التتار والنصارى، وقد كان بالساحل بين الرافضة وبين الفرنج مهادنة حتى صارت الرافضة تحمل إلى قبرص خيل المسلمين وسلاحهم، وغلمان السلطان، وغيرهم من الجند والصبيان، وإذا انتصر المسلمون على التتار أظهروا المآتم والحزن، وإذا انتصر التتار على المسلمين أظهروا الفرح والسرور....» إلى أن قال رحمه الله: «والرافضة شر الطوائف المنتسبين إلى القبلة».(٢)

وقفت الدول العربية وعلى رأسها دول الخليج العربي موقف المتفرج مما يجري في العراق، بل إن بعضها مد يد العون للمحتل لإسقاط النظام العراقي السابق. وإذا

(١) د.عبد الله النفيسي؛ الحسبة الاستراتيجية في العراق. ورقة في مؤتمر نصرة الشعب العراقي، اسطنبول -تركيا، ذوالقعدة ١٤٢٧هـ ص٦٧.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية؛ مجموع الفتاوى ٦٣٦/٢٨ - ٦٣٨.

كان الضعف الذي تعيشه دول الخليج منعها من دعم مقاومة أهل السنة للمحتل الذي مكّن لهؤلاء الشعوبيين الموتورين في بلاد الرافدين، فلم يكن هناك مبرر واقعي ولا استراتيجي للتخلي عن أهل السنة، ولو من أجل مصلحة ومستقبل الدول الخليجية نفسها.

لقد حذر الغيورون طويلاً من خطورة ترك الساحة العراقية للاستفراد الإيراني الشيعي، الذي يسعى من خلال التفاهم مع المحتل الأمريكي، إلى ضمان المصالح الدينية والسياسية والاقتصادية الإيرانية.

والسؤال المهم في المرحلة الراهنة، هل فات الأوان؟ وهل قَدَرُ أهل السنة في الخليج أن يفقدوا إخوانهم من عرب السنة في العراق إلى الأبد؟ أم أنه يجب إنقاذ ما يمكن إنقاذه، وأنه لا يزال هناك هامش أمام دول الخليج للمناورة؟

يرى الباحث، أنه بالرغم من وجود قدرٍ من التفاهم الإيراني - الأمريكي حول مستقبل العراق، إلا إن أمريكا ستظل قلقة من سيطرة اتجاه أيديولوجي واحد على منطقة هي الأهم بالنسبة لها؛ لذا فهي تبحث عن طرف سني قوي يكون شريكًا في حكم العراق، حتى لو كان هذا الطرف ممن شارك في مقاومة الاحتلال، لكنه يؤمن بمبادئ اللعبة السياسية. يؤيد هذا الرأي، المحاولات المتكررة من قبل الأمريكيين في العراق للاتصال ببعض المقربين من فصائل المقاومة العراقية المؤثرة، ليس من أجل إيقاف المقاومة التي أنهكت أمريكا وأسقطت هيبتها وغطرستها فحسب، بل ومن أجل ترتيب البيت العراقي وضمان التوازن العرقي والطائفي فيه. فلا يزال - في تقديري- هناك فسحة من الوقت وفرصة لدى دول الخليج، خصوصًا السعودية ذات الثقل الدولي والإقليمي والقبول لدى الكيانات والأطراف السنية العربية في العراق، لا تزال فرصة اللحظات الأخيرة، التي يلملم فيها بوش ملفاته السوداء مغادرًا بيته الأبيض، لفرض وجود فاعل وقوي لعرب أهل السنة في حكم ومستقبل العراق، من أجل مستقبل الخليج العربي ودوله واستقراره.

إنه لا يزال - في تقديري - هناك متسع من الوقت لدول الخليج ومحيطها العربي أن تبادر لتفرض لنفسها - بما تملك من أوراق - دورًا أكبر في التأثير على مجريات الأمور داخل العراق، على الأقل من أجل التخفيف من النفوذ والهيمنة الإيرانية على المشهد السياسي العراقي. يمكن أن تمارس دول الخليج هذا التأثير، عبر الدعوة لتجمع سياسي سني، تستثمر فيه المكتسبات التي حققتها المقاومة السنية، وتشترك فيه قوى المقاومة، وغيرها من الكيانات السنية الإسلامية والوطنية المعتدلة، يكون هذا التجمع شريكًا فاعلاً ولاعبًا رئيسًا في المعترك السياسي العراقي.

إن سيناريوهات المستقبل السياسي العراقي المحتملة، هي بقاء الدور الهامشي المعطى حاليًا لأهل السنة، واستمرار هيمنة القوى والأحزاب والكيانات الشيعية على المشهد السياسي العراقي، بتحالفها مع القوميين والشيوعيين الأكراد، أو فرض الفيدرالية السياسية، التي يستولي فيها شيعة إيران على منابع النفط في الجنوب، والأكراد على نفط الشمال، ويبقى أهل السنة كيانًا ضعيفًا فقيرًا في وسط العراق. وفي السيناريو الأخير تحقق أمريكا تقدمًا في تطبيق نظامها الشرق أوسطي نحو تقسيم العراق كمدخل لتقسيم دول عربية أخرى كالسعودية أو مصر أو السودان أو غيرها، وهو المشروع الذي ساهمت المقاومة العراقية السنية حتى الآن بإفشاله.

إن أيًّا من هذه السيناريوهات سيشكل تهديدًا مباشرًا لدول الخليج والعالم العربي ككل، وسيعني بالضرورة عبور المد الإيراني الصفوي الفارسي شط العرب وزحفه أكثر نحو قلب الجزيرة العربية.

النظام الإقليمي في المرحلة المقبلة...أيهما يستوعب الآخر، إيران أم دول الخليج؟

يبدو هذا السؤال ساذجًا بدرجة كافية، إذا نظرنا عبر نافذة الواقع الذي تعيشه المنطقة اليوم، فالجواب بلا شك محسوم لصالح إيران. وحتى لا يُتَّهَم الباحث بالتشاؤم، فسأذكر مجرد إشارات ومعالم تبين حجم الفجوة بين الطرفين، وقوة وأهمية الأوراق والخيوط

التي يمسك بها كل منهما، وقد ذكر بعضها تفصيلاً في ثنايا هذا البحث، والترتيب هنا غير مقصود:

- احتلال إيران للجزر العربية والعجز الخليجي التام عن القيام بأي تحرك إيجابي.
- التحكم الإيراني التام بمضيق هرمز الذي يمر عبره نفط الخليج وبضائعه.
- الانفجار السكاني والوجود الشيعي الكثيف حول منابع النفط، وفي المناطق الحيوية في دول الخليج والعلاقات الإيرانية المنظمة بهذه الكيانات، والشحن الثوري والطائفي الذي يمارس عليها.
- الجاليات الإيرانية الكبيرة، خصوصًا في دول جنوب الخليج كعمان ودولة الإمارات، والثقل الاقتصادي لهذه الجاليات.

- التغلغل الإيراني في العراق والإدارة شبه المباشرة لشئونه عبر الحكومة العراقية الطائفية، والغياب الخليجي والعربي المريع عن هذا المشهد.

- البرنامج النووي الإيراني، واحتمالية الحصول على السلاح النووي الذي ستكون دول الخليج والدول العربية أول المهددين به. في الوقت الذي لا تملك دول الخليج – ولا أي دولة عربية- حتى مجرد القرار للبدء ببرنامج مماثل.

- التباين بين دول الخليج في الموقف من إيران، واستشعار الخطر الذي تشكله على المنطقة، فعمان وقطر تحلقان – منذ قيام الثورة - في أحيان كثيرة، خارج السرب الخليجي.

- التسلح الإيراني المحموم منذ توقف حربها مع العراق، وترسانة الأسلحة التي جمعتها من الشرق والغرب، إلى جانب الأسلحة الأمريكية والأوروبية والإسرائيلية التي تشتريها من السوق السوداء. مقابل محدودية قدرات وتعداد جيوش دول الخليج، رغم صفقات الأسلحة الضخمة التي تبرمها مع الدول الغربية.

- التصنيع والتطوير الإيراني المستمر للأسلحة التقليدية، والصواريخ طويلة المدى والصواريخ البالستية قصيرة المدى، والدبابات والطائرات بدون طيار والأسلحة الكيماوية والبيولوجية وغيرها، في الوقت الذي لا يوجد أي مصانع أسلحة ذات بال في دول الخليج العربي، سوى مصنع أو اثنين لتجميع البنادق التقليدية وتعبأة الذخيرة.

- التداول على السلطة في إيران ووجود الأجهزة الرقابية على أداء الحكومة، في مقابل الحكم الأسري في دول الخليج، وتنفُّذ القوى العلمانية والليبرالية التي تسوق للمشروع الغربي.

- العلاقات الإيرانية السرية مع أمريكا وإسرائيل التي لم تعد تسرًّا يمكن إنكاره أو تجاهله.

- المد الشيعي الإيراني في لبنان ودول الشام ومصر والسودان وإفريقيا واليمن، بما يمثله ذلك من إقامة حزام شيعي يطوق الجزيرة العربية ودول الخليج.

- التفوق السكاني الإيراني الذي يتجاوز ثلاثة أضعاف سكان الدول الخليجية، بما يشكله ذلك من جيش وقطاعات حربية كبيرة، وكفاءات عسكرية وعلمية وتقنية، بما فيها العقول والعلماء الذين استقدموا من الدول المستقلة بعد تفكك الاتحاد السوفييتي السابق، ومنحوا الامتيازات والحوافز إلى جانب الجنسية الإيرانية.

ما ذكر أعلاه، لا يعني بطبيعة الحال، أن الصورة وردية مشرقة في الجانب الإيراني، وسوداء معتمة من الطرف الخليجي. فلدى إيران إشكالاتها العديدة والعميقة، وفي الوقت نفسه، يمسك الجانب الخليجي ببعض خيوط اللعبة، إن أحسن تحريكها واستخدامها.

ويمكن الإشارة إلى ذلك فيما يأتي:

- تعيش إيران تدهورًا اقتصاديًّا مستمرًّا، منذ قيام الثورة وما تبعها من التدمير الذي طال كافة قطاعاتها أثناء حرب الخليج الأولى، والإنفاق العسكري الضخم ينهك ميزانيتها المعتمدة بشكل شبه كلي على النفط الذي تتذبذب أسعاره كثيرًا، ويتناقص مخزونه لدى إيران، وإن كانت احتياطياتها من الغاز لا زالت مرتفعة. والديون الخارجية تلتهم جزءًا معتبرًا من مداخيل النفط،

يضاف إلى ذلك الإنفاق السخي على حزب الله وغيره من جهود تصدير الثورة ونشر التشيع في العالم، والبطالة الحقيقية والمقنعة تتجاوز ٣٠٪. كما أن الحصار الذي تفرضه أمريكا ومجلس الأمن على إيران بسبب برنامجها النووي، يحد من تنفيذ خططها التنموية.

- ولا يعني بالضرورة أنه من مصلحة دول الخليج اختناق إيران اقتصاديًا؛ لأن ذلك قد يدفعها إلى مزيد من التطرف، وإنما المطلوب أن تستثمر دول الخليج الحالة المتردية للاقتصاد الإيراني لفرض نوعٍ من التنازلات في سياساتها الخارجية تجاه دول المنطقة، والحد من حمى التسلح التي تنتابها.

- الصراع بين الأحزاب الإيرانية الشيعية ذات التوجهات الأيديولوجية المتناقضة أحيانًا، محتدم على السلطة في إيران، وتعدد أجهزة الدولة من سلطة مرشد الثورة إلى مجمع تشخيص مصلحة النظام، ومن مؤسسة الرئاسة إلى مجلس صيانة الدستور، وكذلك التباين والتنافس بين الحرس الثوري والجيش النظامي، يحد من قدرة النظام الإيراني على اتخاذ قرارات خارجية كبرى ويتيح لمن يحسن فن السياسة، اللعب على وتر هذه التناقضات والتباينات.

تعيش إيران تدهورًا اقتصاديًا مستمرًا، منذ قيام الثورة وما تبعها من التدمير الذي طال كافة قطاعاتها أثناء حرب الخليج الأولى، والإنفاق العسكري الضخم ينهك ميزانيتها المعتمدة بشكل شبه كلي على النفط الذي تتذبذب أسعاره كثيرًا

- إن أخطر القضايا – في نظري - التي يجب على دول الخليج أن توليها الاهتمام الكافي، هو التغلغل الإيراني في صفوف الأقليات الشيعية الخليجية. ولا يتصور أن تكون هذه الدول بأجهزة مباحثها ومخابراتها - التي ربما تكون أكثر أجهزة الدولة فاعلية- غافلة عن مثل هذا الاختراق الخطير، إلا إن المطلوب هو المزيد من الحذر، ودراسة سبل استيعاب هذه الأقليات في محيطها السني، وعزلها عن تأثير عملاء إيران المتطرفين.

- التواصل الإيجابي مع أهل السنة في إيران الذين تبلغ نسبتهم ٣٠٪ من سكان إيران، وهم مضطهدون ولا يتمتعون بأبسط ما يتمتع به شيعة الخليج من حقوق، ومع عرب الأحواز، الذين وإن تشيع كثير منهم؛ نتيجة البطش الذي مُورس عليهم من قِبَل الحكومات الإيرانية المتعاقبة، إلا إنهم مهمَّشون ومسلوبة حقوقهم؛ نتيجة التعصب الفارسي المقيت الذي تميزت به – ولا تزال - ثورة الخميني. والضغط الدبلوماسي والإعلامي على إيران من أجل الاعتراف بهم، والمطالبة بحقوقهم في المحافل والمنظمات الدولية.

- تملك دول الخليج عمقًا استراتيجيًا عربيًا وإسلاميًا، يمكن استثماره لصالحها، ومزاحمة النفوذ الإيراني، خصوصًا لدى الدول والشعوب الفقيرة، ولدى السعودية - على وجه التحديد- بمكانتها الدينية والاقتصادية، ثقل عربي وإسلامي على المستويين الرسمي والشعبي لا تستطيع إيران منافستها فيه، لو أحسنت استثماره.

- الحد من التدخل الإيراني في العراق، عبر تقوية أهل السنة ومدهم بالدعم المادي والسياسي، والضغط على أمريكا لمنحهم مزيدًا من السلطة، وقطع الطريق على مشاريع التقسيم التي يُراد منها خنق عرب أهل السنة وتهميشهم.

- استثمار مداخيل النفط المرتفعة لتحقيق تنمية حقيقية لشعوب دول الخليج في المجالات التعليمية والصناعية والتقنية، والتفكير الجاد بامتلاك أسلحة الردع الاستراتيجية، وبناء جيش أو جيوش خليجية بناءً إيمانيًا سليمًا تستطيع معه صنع توازن عقدي مع الكيانات العسكرية الإيرانية المؤدلجة.

- تبني القضايا العربية والإسلامية بصورة إيجابية وفاعلة، بعيدًا عن المكاسب الشخصية والفرقعات الإعلامية، ودعم حركات التحرر الشعبية ذات الثقل الجماهيري والشعبي، ومزاحمة النفوذ الإيراني لديها، بدلاً من الاكتفاء بالتعامل مع السلطات الرسمية، كما هو الحال في فلسطين والعراق ولبنان والصومال وأفغانستان وغيرها.

- إقامة جامعات إسلامية في مختلف بلدان العالم الإسلامي تُعنَى بتخريج الدعاة المخلصين المعتدلين من مختلف الجنسيات، ومن ثَم تبنيهم ودعمهم لنشر العقيدة الصحيحة، والتحذير من البدع، وقطع الطريق على إيران التي تستجلب آلاف الطلاب من البلدان العربية والإسلامية الفقيرة ومن الأقليات الإسلامية في العالم، إلى الجامعات الإيرانية في طهران وقم ومشهد وتبريز وأصفهان وغيرها، ليتعرضوا طيلة حياتهم الجامعية لعمليات غسيل فكري وعقدي مدروسة ومقننة، يعودون بعدها إلى بلدانهم دعاة للتشيع مدعومين ماديًّا وفكريًّا من السفارات الإيرانية في بلدانهم التي تعمل كمعاقل وقلاع لتصدير الثورة وبثّ المذهب الشيعي.

تملك دول الخليج عمقًا استراتيجيًّا عربيًّا وإسلاميًّا، يمكن استثماره لصالحها، ومزاحمة النفوذ الإيراني، خصوصًا لدى الدول والشعوب الفقيرة

- عدم الركون إلى الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من القوى الغربية أو الشرقية، فهذه الدول تدور حول نفسها، ولا تعني لها قيم العدالة والحقوق المشروعة شيئًا إذا تعارضت مع مصالحها الذاتية. وكثيرًا ما تلتقي مصالح النصارى واليهود مع مصالح الرافضة والفرس، -كما ذكر شيخ الإسلام- وعندها، لن تكون معاهدات الحماية التي وقَّعتها دول الخليج مع هذه الدول، أثمن من الورق الذي كُتبت عليه.

- لن تستطيع دول الخليج الصمود أمام إيران ومواجهة أطماعها التوسعية المبنية على عقيدتها الطائفية التي تجترّها من عمق التاريخ الفارسي والصفوي، بدساتير مشوهة ومهلهلة، ولا بعروش وكيانات قبلية ضيقة، فالناس مستعدون للتضحية فقط، من أجل دينهم ومبادئهم وعقيدتهم، التي على هذه الدول رعايتها وحمايتها من دعاة العلمنة والليبرالية والتغريب؛ الذين ينخرون في المجتمعات الخليجية المحافِظة، ولا يخجلون من الترويج لأفكارٍ ونظمٍ غربية فاشلة، عفى عليها الزمن، وتهاوت في عقر دارها.

- دعم وتشجيع وسائل الإعلام الجماهيرية الناطقة بمختلف اللغات (بما فيها الفارسية)، لمخاطبة الشعوب العربية والإسلامية والوصول إليها في عقر دارها، ونشر العقيدة الإسلامية الصحيحة، ومزاحمة المد الإعلامي الرافضي الموجه، الذي يحاول الوصول بالثورة إعلاميًّا ما عجزت عن تحقيقه ميدانيًّا على الأرض.

معلومات إضافية

الخليج العربي.. نبذة جغرافية:

كتلة مائية (شبيهة بالكُلْية) تقع في جنوب غربي آسيا بين إيران وشبه الجزيرة العربية. ويصل مضيق هرمز بين الخليج العربي وخليج عمان الذي يعد ذراعًا للمحيط الهندي. يبلغ طول الخليج حوالي ٨٠٠ كم، وعرضه نحو ٢٠٠كم، وتقدر مساحته بنحو ٢٦٠,٠٠٠ كم٢، ويبلغ انخفاض أعمق نقطة فيه ٩٠ مترًا حول مدخله الجنوبي عند مضيق هرمز. أما طول ساحله الغربي (العربي) فيبلغ ١٨٠٠كم، بينما يبلغ طول ساحله الشرقي (الفارسي) ١٢٠٠كم. تحده من الشمال، الشمال الشرقي، والشرق إيران؛ بينما تحده من الجنوب الشرقي والجنوب كل من عُمان والإمارات العربية المتحدة، وتحده من الجنوب الغربي والغرب كل من السعودية وقطر، وتقع كل من الكويت والعراق على أطرافه الشمال غربية، بينما تقع البحرين ضمن مياهه الغربية شمال قطر. ويسكن العرب على ضفتي الخليج، سواء في القسم الغربي (دول الخليج والعراق)، أو من الشرق في إقليم عربستان (الأحواز ولنجة).

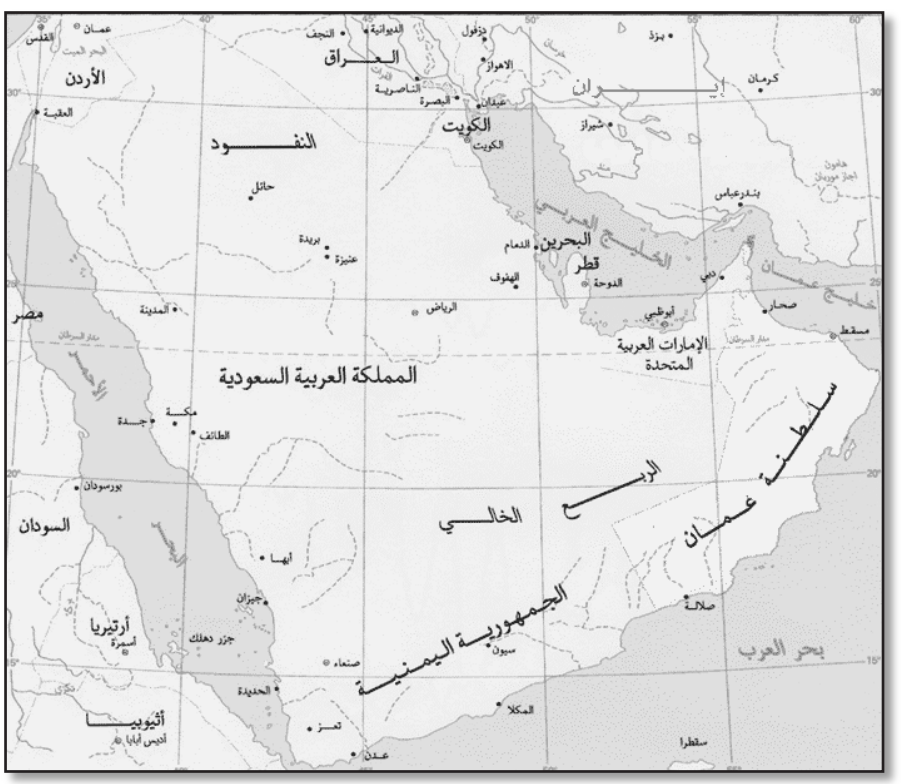

شكل (١) خريطة الخليج العربي

الخليج العربي... لمحة تاريخية:

قامت على ضفاف الخليج العربي عدد من الحضارات القديمة، كان أبرزها، دول سامر وبابل وآشور وعيلام في رأس الخليج. وظلت الجزيرة العربية ساحة صراع بين كتلتين إحداهما شرقية هي الإمبراطورية الفارسية والأخرى غربية وهي الإمبراطورية البيزنطية الرومانية. وقد كانت منطقة النزاع – الذي دام خمسة قرون- تتركز عند الجزء

الشـمالي مـن منطقـة الخليج، حيث كانت أعالي دجلـة والفرات تمثل الحدود الفاصلة بـين الإمبراطوريتين. أما في الجنوب فقد كانت القبائل العربية خاضعة لملوك اليمن من بني شيبان، الذين بسطوا نفوذهم بعد ذلك على الجزيرة العربية بعد أن تمكنوا من هزيمة الفرس في معركة (ذي قار).

يرجع الوجود العربي في الخليج إلى عصر العمالقة الذين هم أولاد عيلام بن لاوذ، وأولاد طسم بن لاوذ، الذين يرجع نسبهم إلى يعرب بن قحطان – أصل العرب العاربة- الذين استقروا في البحرين واتخذوا منها وطنًا لهم.

وفي عصر الخلفاء الراشدين، كان الخليج العربي مسرحًا ومنفذًا للفتوحات الإسلامية التي أطاحت بدولة الفرس المجوسـية، ونشـرت الإسلام في المشـرق الوثني الذي ما لبث أن انضوى تحت راية الدولة الإسلامية. واستمرت أهمية منطقة الخليج كمركز للتجارة والملاحة إبان العصر الأموي، ومن بعده العصر العباسـي الذي انتقلت عاصمته إلى بغـداد، إلى أن اجتاحها المغول سـنة ٦٥٦هـ، وسـقطت على إثره الدولة العباسـية التي خلفتها دويـلات عرقية وقبلية متصارعة.

يبدأ تاريخ الخليج العربي الحديث بظهور البرتغاليين في مطلع القرن السادس عشر الميلادي بعد أن نجحوا في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح بقيادة «فاسـكو دي جاما». تمكن البرتغاليون من السـيطرة على طرق التجارة وقضوا على مملكـة هرمز، أهم المراكز التجارية المزدهرة في الخليج. فكانوا هم أسـياد الموقـف في الخليج العربي، خلال القرن السـادس عشـر، وكانوا يسيطرون على تجارة الحرير مع إيران، رغم المحاولات غير الناجحة للعثمانيين الأتراك لعرقلة هـذه التجـارة. وفي نهاية ذلك القرن، كانت أنظار الإنكليز تتطلع إلى إمكانية المسـاهمة في التجارة بين الهند وإيران، إلى أن تُوجت تلك التطلعات والأعمال التجسسية البريطانية بإنشاء شركة الهند الشرقية البريطانية عام ١٦٠٠م.

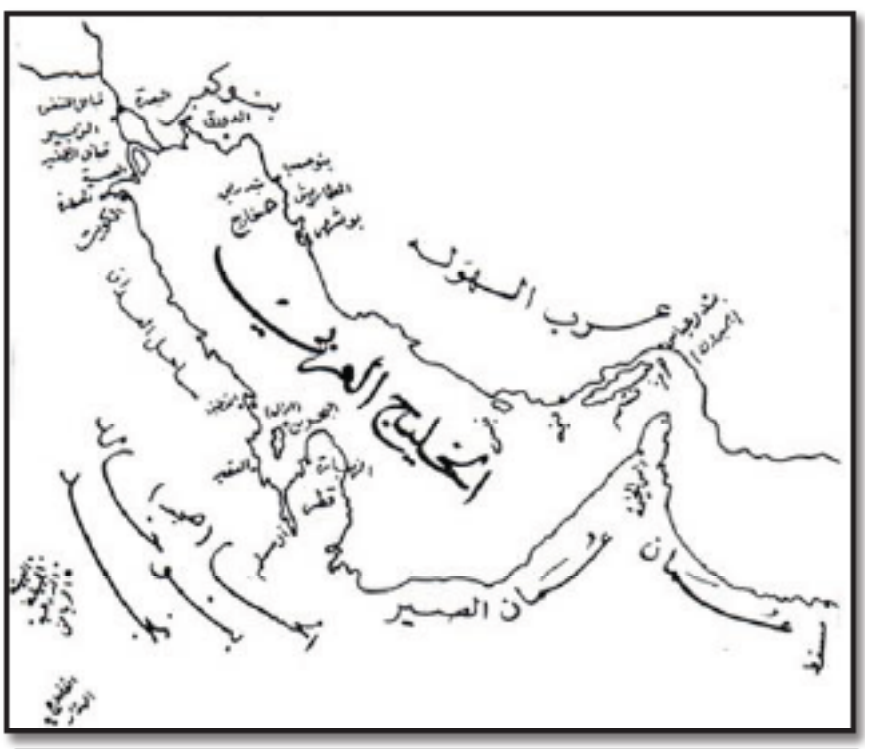

شكل (٢) خريطة توزيع القبائل العربية في منطقة الخليج العربي في القرن الثامن

المصدر: موسوعة مقاتل من الصحراء

فشلت محاولات البرتغاليين في منع الإنكليز من مشاركتهم في نهب خيرات المنطقة، حتى استطاع الإنكليز بتحالفهم مع الهولنديين، وبمساعدة شاه إيران وسلطان عمان من قهر البرتغاليين وإخراجهم من الخليج نهائيًّا عام ١٦٥٢م. واستمرت القوتان الاستعماريتان الجديدتان في سلب مقدرات المنطقة، وحرمان سكانها الأصليين -العرب القاطنين على ساحل عمان - الذين لجئوا إلى أعمال القرصنة البحرية. بدأت المنافسة السياسية والتجارية بين القادمين الجدد - الهولنديين والإنكليز – وفي مرحلة لاحقة الفرنسيين، حتى استطاعت بريطانيا حسم هذا التنافس لصالحها والانفراد بالمنطقة، وبسط نفوذها خلال القرن التاسع عشر على معظم أجزاء الخليج.

وفي مطلع القرن التاسع عشر، قامت حركات مقاومة عربية تحاول إبعاد النفوذ البريطاني عن الخليج العربي، وذلك بقيادة القواسم على الساحل الشمالي، وقبيلة بني بوعلي في سلطنة مسقط، واستمر الصراع بين القوى والقبائل العربية وبريطانيا أكثر من نصف قرن حتى استطاعت هذه الأخيرة من إخضاع هذه القبائل وعقد معاهدات صلح وحماية، تخضع بموجبها مشيخات الخليج – الإمارات السبع المشكِّلة لدولة الإمارات العربية المتحدة حاليًا، إلى جانب البحرين وقطر والكويت - لسلطة بريطانيا العظمى وهيمنتها، مقابل حماية هذه الدويلات من أي اعتداء محلي أو أجنبي، وظلت الأمور على هذا الوضع حتى خروج بريطانيا نهائيًّا من المنطقة عام ١٩٧١هـ.

المصادر:

- الموسوعة العربية العالمية ج١٠ ص١٥٨.
- شيخة غانم القحطاني، توازن القوى بين دول مجلس التعاون الخليجي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ١٩٩٧م ص٥٧.
- جون باجوت غلوب، الفتوحات العربية الكبرى، تعريب وتعليق خيري حماد، بغداد، ص٢٣.
- د.محمود علي الدود، الخليج العربي والعلاقات الدولية، معهد الدراسات العربية العالمية، دار المعرفة، ج١.

الأقليات الدينية في الخليج العربي

أحمد فهمي

باحث فى الشئون السياسية

ملخص الدراسة

بخلاف الشيعة، فإن دول الخليج العربي لا تضم أقليات أخرى جديرة بالانتباه، ومن الصعب ذكر نسب سكانية محددة للشيعة في دول الخليج الست؛ نظرًا لتعدد المصادر واختلاف الأسس -والنوايا أيضًا- التي بُنيت عليها التقديرات، وبصورة عامة يميل الشيعة دومًا إلى تضخيم نسبتهم العددية.

يزعم ناشطون شيعة بأن ما يعتبرونه اضطهادًا مستمرًا لهم يدفعهم إلى التمرد على الأنظمة السُّنية الحاكمة بصورة دورية، وبحسب السنة فإن طبيعة التمرد والرفض الموجودة لدى الشيعة تجعل من الضروري معاملتهم بأسلوب خاص يتسم بالحذر والمراقبة؛ حفاظًا على الأمن والاستقرار.

وهناك منظومة متبادلة من الفعل ورد الفعل بين الأقليات الشيعية والسلطات المحلية، وفي كثير من الأحيان كانت تلك الأقليات تحمل أفكارًا ثورية رافضة للحكم السني؛ بحيث إنه يصح القول بأن أداء الحكومات لم يكن بالضرورة طائفيًّا، ولكنه «احترازي»، وقد تشوبه أخطاء في بعض الفترات.

ويتنوع التهديد الذي يلوح به قادة الشيعة في حال لم تتم الاستجابة لمطالبهم ما بين عودة العنف، أو اشتعال حرب طائفية، أو طلب تدخل دولي من الأمم المتحدة، أو الولايات المتحدة.

على الصعيد السياسي؛ فإن المتأمل في مرحلة نشأة الأحزاب الثورية الشيعية يلحظ أن أغلب جيل المؤسسين والملهمين لم يكونوا خليجيين، وبعضهم لم يكونوا عربًا من الأساس.

ويبدو بوضوح تواصل الأجهزة الإيرانية مع الأحزاب الشيعية في الخليج، سواء تم ذلك التواصل مباشرة أم عن طريق وسيطها الرئيس حزب الله اللبناني، كما تحظى القضايا المتعلقة بإيران أو الشيعة عمومًا بأولوية مطلقة لدى شيعة الخليج من حيث متابعتها، والتفاعل معها بشتى الأساليب.

ويبقى أن قضية اندماج الأقلية الشيعية في مجتمع أغلبيته سنية، ذات تعقيد نسبي، فالدعوة الرسمية إلى تحقيق هذا الاندماج لا بد أن تكون مصحوبة بتنازلات للشيعة تتعلق بنظام القضاء والمساجد والتعليم والتعيينات ..إلخ، وهذه التنازلات تشكل قائمة المطالب الشيعية من الأنظمة السنية، وفي حالة تلبية أغلب هذه المطالب؛ فإنه بذلك سيتم ترسيخ كون الشيعة أقلية منغلقة أكثر، ومستقلة ذاتيًّا داخل الدولة، بمعنى أن الشيعة سوف يكون لديهم صلاحية أوسع في حكم أنفسهم بأنفسهم، أي أن التوسع في تلبية المطالب الشيعية يتناسب طرديًّا مع تحويل الأقلية الشيعية إلى دولة داخل الدولة.

الأقليات الدينية في الخليج العربي

أحمد فهمي

باحث فى الشئون السياسية

مفهوم الأقليات:

لا يخلو مصطلح «الأقليات» من لَبْس في معانيه، ودلالاته الواقعية؛ إذ تختلف التعريفات المقدمة له في المراجع العلمية في اعتباره – أولاً- متضمنًا لدلالة تقويمية لوضع أقلية ما في المجتمع الذي تعيش فيه، بمعنى هل يكون وصف جماعة ما بأنها أقلية يحمل في طياته كونها تعاني من الاضطهاد والتضييق وسلب الحقوق، أم لا؟

على سبيل المثال، يعرّف قاموس علم الاجتماع جماعة الأقلية بأنها جماعة عنصرية، أو دينية أو إثنية معترَف بها في مجتمع معين، تعاني من تفرقة مترتبة على تحقير أو تمييز.

وتعرف الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية الأقلية بأنها: جماعة من الأفراد الذين يتميزون عن بقية أفراد المجتمع عرقيًّا أو قوميًّا أو دينيًّا أو لغويًّا، وهم يعانون من نقص نسبي في القوة، ومن ثَم يخضعون لبعض أنوع الاستعباد والاضطهاد والمعاملة التمييزية.

وتعرف الموسوعة الأمريكية الأقليات بأنها: جماعات لها وضع اجتماعي داخل المجتمع أقل من وضع الجماعات المسيطرة في نفس المجتمع، وتمتلك قدرًا أقل من النفوذ والقوة، وتمارس عددًا أقل من الحقوق مقارنة بالجماعات المسيطرة في المجتمع.

وتعرف موسوعة المعارف البريطانية الأقليات بأنها: جماعات من الأفراد الذين يتمايزون عرقيًّا أو لغويًّا أو دينيًّا أو قوميًّا عن بقية الأفراد في المجتمع الذي يعيشون فيه.

ولكن بعض المتخصصين يعرِّفون الأقلية تعريفًا حياديًّا بأنها: أية مجموعة بشرية تختلف عن الأغلبية في واحد أو أكثر من المتغيرات التالية: الدين أو اللغة، أو الثقافة أو السلالة، وهو التعريف المختار في هذه الدراسة .[1]

الأقليات في دول الخليج العربي:

بخلاف الشيعة فإن دول الخليج العربي الست لا تضم أقليات أخرى جديرة بالانتباه، لذا سوف يتركز البحث حول الأقليات الشيعية تحديدًا.

(١) (انظر الملل والنحل والأعراق، د.سعد الدين إبراهيم، ص ٢٦-٢٩).

النسب السكانية:

من الظواهر المعتادة صعوبة تحديد النِّسَب السكانية للأقليات، خاصة في دول ذات طابع سياسي خاص، كما هو حال الدول العربية؛ إذ عادة ما يتم تجنب التصنيف الطائفي في الإحصاءات السكانية، أو اعتبارها معلومات سرية غير معلنة، لذا سيكون من الصعب ذكر نسب سكانية جازمة للشيعة في دول الخليج الست؛ نظرًا لتعدد المصادر واختلاف الأسس- والنوايا أيضًا- التي بُنيت عليها التقديرات، وبصورة عامة يميل الشيعة دومًا إلى تضخيم نسبتهم العددية، كما تنزع أغلب المصادر الغربية إلى ذات التوجه.

من الصعب ذكر نسب سكانية جازمة للشيعة في دول الخليج الست؛ نظرًا لتعدد المصادر واختلاف الأسس- والنوايا أيضًا- التي بُنيت عليها التقديرات

في الكويت، وفقًا لتقرير «الحرية الدينية في العالم» لعام ٢٠٠٦م، الذي تصدره الخارجية الأمريكية، يشكل الشيعة نسبة ٣٠٪ من إجمالي المواطنين، الذين يبلغ عددهم ٩٧٣ ألفًا (انظر: سي إن إن، شيعة الكويت بين المشاركة والتمايز المذهبي ١٣-٤-٢٠٠٧م)، ويذكر التقرير ذاته أيضًا أن هناك ١٠٠ ألف شيعي مقيم لا يحمل الجنسية الكويتية، كما يوجد نحو عشرة آلاف من طائفة البهرة (الشيعية) الهنود.

لكن يذكر الباحث المتخصص في شئون الشيعة د.فلاح المديرس أن نسبتهم في الكويت تتراوح بين ١٥-٢٥٪ على أكثر تقدير، (انظر عرض كتاب: الحركة الشيعية في الكويت، د. فلاح المديرس، مجلة الراصد)، ويشير د. سعد الدين إبراهيم إلى أن نسبتهم لا تتجاوز ٢٠٪.[٢]

في البحرين، يثور لغط أكبر حول النسبة الحقيقية؛ كون الشيعة في هذا البلد يمثلون النسبة الأكبر بين دول الخليج، لذا تتراوح التقديرات بين ٧٠٪ وأقل من ٥٠٪، ومن أبرز الأمثلة على هذا اللغط ما ذكره سعد الدين إبراهيم في موسوعته عن الأقليات عام ١٩٩٤م من أن نسبة العرب السنة ٤٥٪ والعرب الشيعة ٤٥٪، ويمثل الإيرانيون ٨٪ من السكان، ثلثاهم من الشيعة، وثلثهم الباقي سنة، أي أن إجمالي الشيعة في البحرين يبلغ قريبًا من ٥١٪، والسنة يبلغ قريبًا من ٤٩٪.[٣]

لكن تراجَع د.سعد الدين إبراهيم عن تقديراته في تقرير الأقليات الصادر عام ١٩٩٩م، ومنح الشيعة في البحرين نسبة ٧٠٪ مرة واحدة (انظر بحث التجمعات الشيعية في البحرين، شبكة راصد)، وهي نفس النسبة التي ذكرها التقرير الأمريكي «الحرية الدينية في العالم»، والتي ذكرها تقرير مجموعة الأزمات الدولية «التحدي الطائفي في البحرين»، وأشار موقع سي إن إن إلى أن نسبتهم تتراوح من ٦٠-٨٠٪ [٤].

لكن من خلال لقاءات خاصة مع شخصيات سنية في البحرين، تروّج تأكيدات بأن النسبة الحالية تقترب من المناصفة بين الطائفتين؛ استنادًا إلى نتائج دورتي الانتخاب السابقتين، والتي أظهرت أن نسبة الشيعة لا يمكن بحال أن تصل إلى هذا الرقم المبالغ فيه.

في قطر، حسب تقديرات تقرير الحرية الدينية في العالم، تبلغ نسبة الشيعة ١٠٪ [٥]، ويؤكد نفس النسبة د.سعد الدين إبراهيم في دراسة الملل والنحل. [٦]

في الإمارات، يذكر د. إبراهيم أن نسبتهم الإجمالية ٢٠٪، ولكن تتركز النسبة الأكبر منهم في دبي؛ حيث يمثلون قريبًا من نصف السكان المحليين، أما تقرير الحرية الدينية في العالم، فيرتفع بالنسبة إلى مستوى جزافي؛ حيث يجعلها ١٥٪ من إجمالي السكان وليس المواطنين، أي من عدد ٤,٥ مليون شخص، وهو ما يجعل الشيعة في الإمارات قريبًا من

(٢) انظر الملل والنحل، ص ٩٣ .

(٣) انظر الملل والنحل، ص٩٦.

(٤) انظر مقال: شيعة البحرين على هامش المواطنة، ١٠-٤-٢٠٠٧م.

(٥) سي إن إن، شيعة قطر.. الانسجام مع الأكثرية، ٢٤-٤-٢٠٠٧م

(٦) انظر الملل والنحل ص ٩١.

ثلث السكان حسب التقرير الأمريكي.[٧]

في عُمان، يختلف الوضع كثيرًا؛ إذ يتراوح وضع السنة بين الأقلية والأكثرية باختلاف التقديرات؛ حيث تقدرها دراسة الملل والنحل بـ٢٠٪، بينما يبلغ أتباع الإباضية ٧٠٪، مقابل أقل من ١٠٪ للشيعة[٨]، لكن هذه النِّسب تبدو غير دقيقة؛ إذ تشير تقديرات جون بيترسون -أحد أبرز الباحثين الغربيين في الشئون العُمانية، في بحثه الذي نشره في دورية «ميدل إيست جورنال» (شتاء ٢٠٠٤م)، بعنوان «المجتمع المتنوع في عُمان»- إلى أن الإباضيين يشكلون نحو ٤٥٪ فقط من إجمالي السكان، بينما يشكل السنة ٥٠٪، ولا تتجاوز نسبة الشيعة ٥٪، وبعض المصادر تقدر عدد أتباع الشيعة الإمامية بنحو ١٠٠ ألف من إجمالي عدد السكان، الذي يبلغ مليونين و٣٣٠ ألف نسمة، منهم مليون و٨٠٠ مواطن عُماني حسب إحصاء عام ٢٠٠٣م.[٩]

تاريخ من الاضطهاد أم التمرد؟!

أيهما يسبق الآخر، الاضطهاد أم التمرد؟! يزعم ناشطون شيعة بأن ما يعتبرونه اضطهادًا مستمرًا لهم يدفعهم إلى التمرد على الأنظمة السنية الحاكمة بصورة دورية، وبحسب السنة فإن طبيعة التمرد والرفض الموجودة لدى الشيعة تجعل من الضروري معاملتهم بأسلوب خاص يتسم بالحذر والمراقبة؛ حفاظًا على الأمن والاستقرار.

الحسم الموضوعي لهذه الإشكالية من وجهة محايدة يبدو صعبًا؛ نظرًا للتعقيدات التاريخية التي تجعل من العسير تحديد نقطة تاريخية حاسمة يبدأ من عندها التحكيم، وخروجًا من الخلاف سوف نركز على التاريخ المعاصر، مع الاعتماد على المصادر الشيعية أو الغربية متجنبين المصادر السنية.

لكن قبل الولوج إلى التاريخ المعاصر ننقل إفادة واحدة لمثقف شيعي يصف فيها طبيعة الوجود الشيعي في تلك المنطقة عبر التاريخ الإسلامي، يقول نجيب الخنيزي: «وتميزت المنطقة – الساحل الغربي للخليج- باندلاع الثورات والانتفاضات المبكرة ضد الدولة الأموية، ثم الدولة العباسية، والتي تكللت بسيطرة القرامطة في نهاية القرن الثالث الهجري التي جعلوها قاعدة لحكمهم، ومنطلقًا لحملاتهم ضد المراكز والعواصم العربية.[١٠]

وتذكر دراسة مجموعة الأزمات عن البحرين -التي سبقت الإشارة إليها- أنه «من وجهة النظر التاريخية كان ما حدث -الاضطرابات بين الشيعة والدولة بعد ثورة الخميني- يمثل تحولاً عميقًا. فقبل عام ١٩٧٩م، لم تكن الحكومة تنتهج أجندة طائفية محددة، من منطلق أنها كانت تعتبر التهديد الأكثر خطورة هو النابع من المنظمات اليسارية الراديكالية»، ولذلك كان رجال الدين الشيعة غير البحرينيين الذين يحملون فكرًا تثويريًّا يدخلون البلاد دون أي مضايقات، ويؤكد ذلك القيادي الشيعي البحريني مرتضى بدر، والذي شغل مؤخرًا منصب رئيس المجلس البلدي في العاصمة المنامة، يقول في حوار مع صحيفة الوطن البحرينية عن تنقلات رجل الدين المعروف هادي المدرسي عراب التيار الشيرازي في الخليج -كان ذلك التيار مؤيِّدًا للسيطرة الإيرانية على دول الخليج الصغيرة-: «كان السيد المدرسي يتنقل بعدة جوازات سفر.. وفي العام ١٩٧٦م حصل على جواز سفر بحريني».[١١]

وفي الكويت يصف موقع سي إن إن حالة الأقلية هناك بالقول: «يشكل الشيعة جزءًا من نسيج المجتمع الكويتي، وهم مشاركون في الحياة السياسية، ولهم وجود نافذ في الحقل الاقتصادي، وحقوقهم الدينية في الأغلب مصانة»[١٢]، وذلك على الرغم من التاريخ القديم

(٧) سي إن إن، الشيعة في الإمارات.. الاندماج في مجتمع متنوع، ٢٤-٤-٢٠٠٧م.

(٨) انظر الملل والنحل ص ٩٤.

(٩) سي إن إن، الشيعة في عمان نموذج لأقلية ناجحة، ٢٥-٣-٢٠٠٧م

(١٠) انظر مقاله: النشاط السياسي لشيعة السعودية، الجزيرة نت.

(١١) من سلسلة مقالات، قصة الإسلام الحركي في البحرين، صحيفة الوطن البحرينية للكاتب وسام السبع ٢٦-٢-٢٠٠٦م ، نقلاً عن موقع موسوعة الرشيد.

(١٢) مرجع سابق.

من عدم الثقة، فمنذ تأسيس أول مجلس استشاري للمشاركة السياسية عام ١٩٢١م تم استبعاد الشيعة، رغم النص على تعيين ممثلين من ذوي الأصول الإيرانية، بسبب امتناع الشيعة عن المشاركة في معركة الجهراء بين الكويت وبعض جيرانها عام ١٩٢٠م، حيث ذهبت مجموعة منهم إلى المقيم البريطاني، وعبروا عن عدم رغبتهم بالمشاركة في هذه المعركة على أساس أنهم ليسوا مواطنين كويتيين، ولكنهم في عام ١٩٣٨م طالبوا بأن يكون لهم تمثيل نيابي، وعندما رفضت السلطات توجه عدد كبير من الشيعة المنحدرين من أصول إيرانية إلى المقيم البريطاني طالبين الحصول على الجنسية البريطانية في تحدّ للمجلس التشريعي.[١٣]

وتكرر الأمر لاحقًا أثناء الحرب العراقية الإيرانية؛ حيث اتخذ كثير من الشيعة مواقف مخالفة للموقف الرسمي للدولة المؤيد للعراق، وشارك عدد منهم في الحرب لصالح إيران، كما تورط عدد آخر في عمليات إرهابية داخل الكويت فترة الثمانينيات.

هذه المقتطفات تثبت أن هناك منظومة متبادلة من الفعل ورد الفعل بين الأقليات الشيعية والسلطات المحلية، وأن تلك الأقليات كانت في كثير من الأحيان تحمل أفكارًا ثورية رافضة للحكم السني؛ بحيث إنه يصح القول بأن أداء الحكومات لم يكن بالضرورة طائفيًّا، ولكنه «احترازي»، وقد تشوبه أخطاء، أو مبالغات في بعض الفترات.

ومع تتبع أداء تلك الأقليات -أو قياداتها- في العقود الأخيرة؛ فإن الأمر يحتاج إلى عقود أخرى حتى تطمئن الأغلبية إلى أن تقديم المزيد من التنازلات لن يكون مجازفة غير محسوبة.

سمات مشتركة بين الأقليات الشيعية:

بحكم التوحد الطائفي والتركز الجغرافي فإنه يمكن ملاحظة سمات مشتركة بين الأقليات الشيعية في دول الخليج، هذه السمات تفيد معرفتها في بلورة تصورات أكثر دقة عن مستقبل هذه الأقليات، وعلاقاتها مع المجتمعات السنية التي تعيش فيها.

أولاً: التكوينات العِرْقية المتشابهة:

يصعب فصل المكون الأجنبي عن شيعة الخليج؛ نظرًا لكون تلك المنطقة ذات جذب لمجتمعات شيعية أخرى ذات طبيعة مهاجرة، وبخاصة نموذجي الهند وإيران.

يقيم الشيعة بالساحل الغربي للخليج العربي منذ عقود بعيدة، إلا إن تأسيس دولة القرامطة مع نهاية القرن الثالث الهجري، فيما كان يعرف بالبحرين، وتضم أغلب مناطق الساحل الغربي للخليج، أدى إلى انتعاش الحالة الشيعية، وظل الأمر كذلك حتى سقوط القرامطة عام ٤٦٧هـ على يد السلاجقة، وكانت تلك الدولة بمثابة نقطة جذب للشيعة من المناطق المجاورة، ورغم ما تركته من ميراث يتسم بالقسوة والوحشية تجاه المجتمعات السنية المجاورة لها، فإنها تحتل مكانة مخالفة تمامًا في الثقافة الشيعية؛ حيث يمتدحها البعض وكأنها دولة ديمقراطية على النمط الغربي الحديث، يقول مثقف شيعي: «والقرامطة من الناحية المذهبية ينتسبون إلى فرقة الإسماعيلية، وفي عهدهم جرى استحداث الكثير من التنظيمات الإدارية والعسكرية والقانونية والاجتماعية ذات المدى المتقدم والمتطور التي تأخذ بعين الاعتبار مصالح الغالبية من السكان.. كما اتسم البناء السياسي والاجتماعي للقرامطة بالديمقراطية العسكرية». [١٤]

بعد القرامطة وفي القرن السابع الهجري استولى أتابك فارس على الجانب الغربي من الخليج العربي لتتحول المنطقة إلى نقط جذب جديدة للتجمعات الشيعية [١٥]، وفي القرون التالية ظل النفوذ الإيراني في تلك المنطقة حاضرًا بقوة خاصة مع ظهور الدولة الصفوية في القرن السادس عشر الميلادي، ومع ضعف القبضة العثمانية

(١٣) انظر دراسة فلاح المديرس: الحركة الشيعية في الكويت، عرض مجلة الراصد.

(١٤) النشاط السياسي لشيعة السعودية، مرجع سابق.

(١٥) انظر مقال: التجمعات الشيعية في السعودية، شبكة راصد.

على تلك المنطقة البعيدة، وتمكن الإيرانيون في فترات متتابعة من احتلال بعض المناطق؛ حيث استولوا على البحرين- الجزيرة- مطلع القرن السابع عشر الميلادي بعد البرتغاليين، وحكموها بشكل متقطع حتى عام ١٧٨٣م عندما تمكنت قبيلة عتبة- التي ينحدر منها عائلة آل الخليفة الحاكمة حاليًا- من طردهم.[١٦]

نتج عن ذلك تحول المكون الإيراني إلى جزء هام من الأقليات الشيعية في الخليج، بل إن بعض الذين زاروا البحرين، أو كتبوا عنها في بدايات هذا القرن يذكرون صراحة أن الوجود الشيعي هو وجود أجنبي، يقول أمين الريحاني في كتابه «ملوك العرب» الصادر سنة ١٩٢٤م ص٧٢١ ما يلي: «وهي (البحرين) على صغرها عامرة بمائتي ألف من العرب والأعاجم من الشرق والغرب،

السمات المشتركة بين الأقليات الشيعية في الخليج

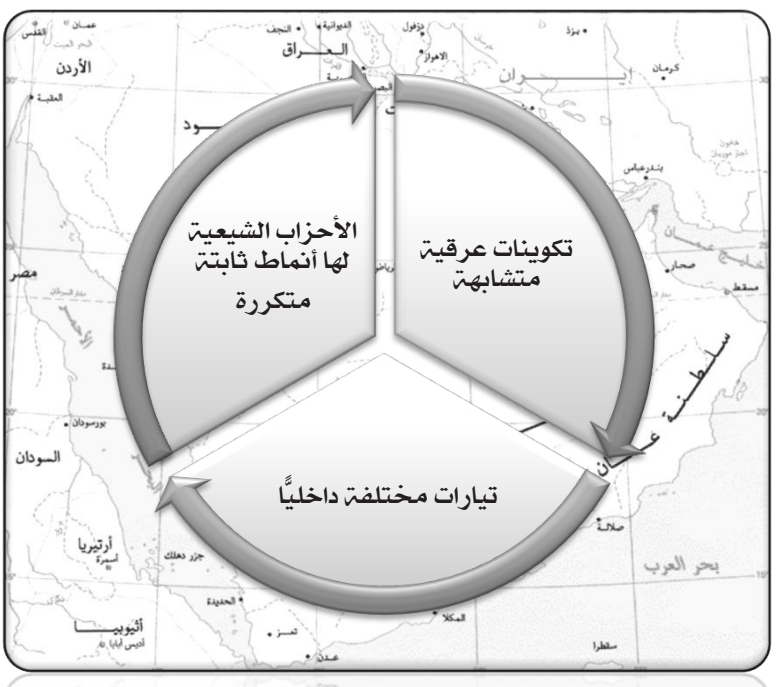

على المستوى الشعبي كانت المنطقة تمثل بالنسبة للإيرانيين موطئ قدم قريب يهربون إليه من أيّ أزمات أو صراعات أو مشاكل في بلدهم، وأدى ذلك إلى تراكم موجات من الهجرة أثرت على التركيبة السكانية للشيعة في المنطقة، وفي منتصف القرن العشرين وضع الشاه محمد رضا بهلوي مخططًا استخباراتيًّا سريًّا يستهدف تغيير التركيبة السكانية للمنطقة الغربية من الخليج عن طريق تهجير مبرمج لشيعة إيرانيين، سواء كانوا من أصول عربية أم فارسية. [١٧]

بيد أنها لا تزال عربية الأصل والحكم، عربية اللغة والروح؛ لأن أكثر سكانها من العرب الأصليين: عرب نجد، وفيهم من المذاهب الإسلامية المالكي والشافعي والحنبلي والجعفري، أما الجعفريون فهم مثل الهنود يعدون من الأجانب؛ لأنهم إيرانيون أو إيرانيو التبعية».[١٨]

ويذكر فلاح المديرس أن شيعة الكويت العرب ينحدرون من شرق الجزيرة العربية، وهم الذين يطلق

(١٦) انظر التجمعات الشيعية في البحرين، شبكة راصد.

(١٧) انظر مقال: يخدعنا من يقول: إن هذه هي الديمقراطية، سميرة رجب، الوطن البحرينية

(١٨) انظر بحث التجمعات الشيعية في البحرين، سابق.

عليهم «الحساوية» نسبة إلى منطقة الأحساء بالسعودية، أو «البحارنة» نسبة إلى البحرين، وفئة قليلة منهم جاءت من جنوب العراق، ويطلق عليهم «البصاروة» أو «الزبيرية»، نسبة إلى البصرة أو الزبير بالعراق، أما الشيعة الذين جاءوا من إيران فيطلق عليهم «العجم»، وهم يشكلون نسبة كبيرة من شيعة الكويت. (١٩)

وفي البحرين تُقَدَّر نسبة الإيرانيين بين الشيعة -حسب تقرير مركز ابن خلدون- بحوالي ١٢٪، إلا إن هذا التقدير لا يشمل من تمتد أصولهم الإيرانية إلى قرون ماضية، ويشير تقرير مجموعة الأزمات عن البحرين إلى أن ذوي الأصول الفارسية يبلغون ما بين ٢٥-٣٠٪ من السكان.

أما في عُمان فإن الشيعة هناك يصنّفون أنفسهم ويصنّفهم الناس أيضًا بأنهم «إيرانيون» حتى ذوي الأصول العربية منهم. (٢٠)

إذن لا مجال للقول بأن شيعة الخليج هم عرب «خُلَّص»، ولا مجال أيضًا للقول بأن الوجود الحالي لتجمع شيعي في دولة خليجية ما يعني أن ذلك الوجود ممتد عبر التاريخ، أي أن دعوى الارتباط الجغرافي ببقعة معينة من الأرض لا تصمد أمام جولة تاريخية لعدة مئات من السنين؛ نظرًا لطبيعة الارتحال والتنقل المستمر التي ميزت القبائل في القرون الماضية، سواء لأسباب تتعلق بنمط الحياة في الصحراء، أو لتغيرات الظروف السياسية كما ذكرنا.

وبالتالي يصعب ادعاء الملكية التاريخية لمنطقة جغرافية معينة من الساحل الغربي للخليج العربي، وتاليًا أيضًا لا مجال للاعتراض على استمرار عمليات التجنس، طالما كان ذلك قرارًا سياديًّا تتخذه الدولة، فما لا يقل عن ٢٥٪ من إجمالي الشيعة في الخليج حصل على انتمائه لهذه المنطقة عن طريق التجنس، وكثير منهم حصل عليها يوم أن كانت «جوازات» السفر تباع كأي سلعة قبل أكثر من أربعين عامًا قبل أن تتخذ أغلب دول الخليج شكلها النظامي الحالي. (٢١)

ثانيًا: تيارات مختلفة داخليًّا:

لا تشكل الأقلية الشيعية في دول الخليج كيانًا واحدًا متجانسًا، فهم ينقسمون إلى عدة تيارات دينية وسياسية.

فمن الناحية الدينية توجد ثلاث فرق شيعية اثنا عشرية في منطقة الخليج، وهي: الإخبارية، الأصولية، الشيخية، والأخيرة متفرعة عن الأولى، والثانية تطوير للأولى، والخلافات بين الأولى والثانية تمتد عبر قرون، واتخذت أشكالاً مأساوية في بعض مراحلها؛ إذ رافقها عمليات قتل وتجريح وسباب. (٢٢)

ما لا يقل عن ٢٥٪ من إجمالي الشيعة في الخليج حصل على انتمائه لهذه المنطقة عن طريق التجنس، وكثير منهم حصل عليها يوم أن كانت «جوازات» السفر تُباع كأيّ سلعة قبل أكثر من أربعين عامًا.

وينتشر الإخباريون في منطقة الأحساء، بينما يكثر الأصوليون في القطيف، وحسب بعض المراقبين فإن الإخباريين أكثر ميلاً للداخل وبعدًا عن الصراعات السياسية. (٢٣)

وتذكر دراسة مجموعة الأزمات أن شيعة البحرين كان يغلب عليهم الانتماء للإخباريين حتى مطلع القرن العشرين، ولكن حاليًا يتبع أغلبهم المذهب الأصولي.

وتوجد الشيخية بنسبة قليلة في الأحساء، وفي الكويت أيضًا حيث أقام أحد شيوخها وهو الميرزا علي بن موسى الحائري في الكويت سنوات، وكانت مجموعة من شيعة الكويت يقلدون والده موسى بفعل تأثر الكويت وقربها من كربلاء. (٢٤)

(١٩) انظر مقال: شيعة الكويت بين المشاركة والتمايز المذهبي، سي إن إن ١٣-٤-٢٠٠٧م.

(٢٠) انظر دراسة الملل والنحل، ص ٩٤.

(٢١) انظر التجمعات الشيعية في الخليج، شبكة راصد، وكتاب «وجاء دور المجوس».

(٢٢) انظر كتاب: صراع المصالح في بلاد الرافدين لتفصيلات أكثر عن طبيعة الخلاف بين الفرقتين ص ٢٥-٢٨.

(٢٣) انظر شبكة راصد الشيعية ٨-١٠-٢٠٠٧م، ومقال: اغتيال قاضي جعفري، حسين عباس، موقع مصريون ١٢-١٠-١٤٢٨هـ.

(٢٤) التجمعات الشيعية في الكويت، شبكة راصد السنية.

ومن حيث المرجعية الدينية، فإن الأصوليين فقط –وهم أغلبية الشيعة الخليجيين– هم من يعتمدون نظام المرجعيات، وأبرز المراجع المتبوعين هم: السيستاني ويقيم في النجف، وصادق الروحاني والشيرازي في إيران، وخامنئي المرشد الإيراني، وحسين فضل الله المقيم في لبنان. (٢٥)

ولا يوجد مرجع من مراجع التقليد المعتبرين يقيم في دول الخليج حاليًا، وتذكر بعض التقديرات أن حوالي ٨٠٪ من شيعة السعودية يقلدون السيستاني، والأقل هم من يقلدون فضل الله. (٢٦)

نفس التركيبة المرجعية تتكرر تقريبًا في بقية دول الخليج، لكن مع اختلاف النِّسَب، وإن كان السيستاني يحتفظ بالأولوية، ويقول هادي العلوي أحد قيادات تيار الشيرازي في البحرين: إن أتباع مذهب مرجعه لا يقلون عن ربع شيعة البحرين، وإن كان بعض رجال الدين الشيعة يغيرون ممثليهم كل فترة. (٢٧)

ويتميز تيار الشيرازي بأنه يقرن بين العمل السياسي والمرجعية الدينية، ويوصف التيار بأنه راديكالي، (انظر دراسة التحدي الطائفي في البحرين)، وتنبثق عنه جمعية العمل، أو حزب العمل كذراع سياسي، وهو نسخة من مثيله في العراق، وفي البحرين يقود جمعية العمل محمد علي محفوظ، ويطلق على المكتب المختص بالأنشطة الدعوية والدينية «الرسالة»، ويزعم هادي العلوي وهو عضو في التنظيمين الديني والسياسي-الرسالة والعمل- بأن مجموعة العضوية بين التنظيمين تناهز ٢٠,٠٠٠ عضو مسجل، وهو يدّعي أيضًا أن تنظيمه يحوز على تأييد أوسع من ذلك بكثير، وأنه يبلغ مجموع التمثيل ما بين ٤٥٪ إلى ٥٥٪ من الشيعة، ويفسر عدم إعلانهم بأن كثيرًا من البحارنة يفضلون عدم الإعلان عن تأييدهم العلني. (٢٨)

(٢٥) انظر حوار مع فؤاد إبراهيم، الجزيرة نت.

(٢٦) مقال سعود صالح السرحان، نحو مرجعية شيعية مستقلة في الخليج، الشرق الأوسط ٢٤-٢-٢٠٠٣م

(٢٧) دراسة مجموعة الأزمات ، التحدي الطائفي في البحرين.

(٢٨) المرجع السابق.

وفي الكويت يحظى التيار بوجود ملحوظ، خاصة مع ظهور قناة الأنوار التابعة له، ويمثله سياسيًّا تجمع العدالة والسلام، وللتيار نشاط واضح في طباعة الكتب وإقامة المؤسسات، كما حقق نجاحًا في اختراق الشيخية وجذب أتباعها. (٢٩)

ويوجد تيار ولاية الفقيه في عدة دول، وإن كانت النظرية لا تحظى بشعبية في الأوساط الشيعية.

وتُظهر الخارطة الدينية لشيعة الخليج أن منابعهم الدينية ترمي بثقلها إلى الخارج، فمصادر التيارات الأساسية ورموزها لا ينتمون إلى دول الخليج ولا يقيمون فيها، وكذلك المرجعيات الدينية تتوزع في الأساس بين العراق وإيران، في المقابل فإن جميع الرموز والعلماء الشيعة في الخليج العربي قضوا فترة طويلة نسبيًّا من مرحلة التحصيل العلمي في النجف أو قم.

ثالثًا: الأحزاب الشيعية والأنماط المتكررة:

تمثل حركة الإصلاح في السعودية التي يتزعمها حسن الصفار أبرز الحركات السياسية لشيعة السعودية، وفي البحرين فإن أبرز الكتل السياسية الشيعية في مقدمتها جمعية الوفاق برئاسة علي سلمان، وجمعية العمل الإسلامي بزعامة محمد علي محفوظ، وفي الكويت تأسس التحالف الإسلامي الوطني في التسعينيات، ثم تأسس الائتلاف الوطني الشيعي في عام ٢٠٠٥م، وهو يضم خمسة تيارات، سياسية ودينية، هي: تجمع العدالة والسلام الذي يمثل أنصار صادق الشيرازي، وتجمع الميثاق الوطني الذي يمثل مقلدي حسين فضل الله، وحركة التوافق الوطني الإسلامية التي انشقت عن حزب الله -الكويت، وتجمع الرسالة الإنسانية الذي يمثل الشيعة «الحساوية» في الكويت، والذي يعرف أيضًا بتيار جامع الإمام الصادق، وأخيرًا تجمع علماء المسلمين الشيعة الذي يقوده المرجع محمد باقر المهري. (٣٠)

(٢٩) التجمعات الشيعية في الكويت، سابق.

(٣٠) انظر سي إن إن، شيعة الكويت بين المشاركة والتمايز المذهبي، سابق.

ولا يحظى الشيعة بحضور سياسي مماثل في بقية دول الخليج، ويتركز حضورهم الأقوى في المجالات الاقتصادية والدينية.

ومن خلال دراسة الأداء السياسي للأحزاب الشيعية في العقود الأربعة الماضية يمكن ملاحظة أنماط ثابتة متكررة في غالبية هذه الأحزاب في الدول الثلاث، وهي أنماط تتشابه فيها مع أحزاب شيعية في دول أخرى، مثل لبنان والعراق، وهذا التكرار النمطي يعطي إيحاءات بمستوى الارتباط والتنسيق وتبادل الخبرات بين الأحزاب الشيعية في المشرق العربي.

ونذكر هذه الأنماط فيما يلي:

١- مرحلة المعارضة الخارجية الحادة والعنيفة:

مثلت «مجموعة» حزب الله أبرز الأحزاب المتبنية للعنف، وكان لكل دولة من الدول الخليجية الثلاث فرعها المستقل من «حزب الله»، وكان أكثرها حدة وعنفًا الفرع الكويتي الذي نفّذ في الثمانينيات عدة عمليات إرهابية، أبرزها المحاولة الفاشلة لاغتيال أمير الكويت، وبرز في البحرين حزب الدعوة منذ الستينيات وكان يمارس نشاطه سرًّا في الداخل، ثم انتقل إلى الخارج، وحركة أحرار البحرين، والجبهة الإسلامية لتحرير البحرين، والأخيرة أكثرها عنفًا، ومؤسسها هو رجل الدين هادي المدرسي، والذي كان يدعو إلى الانقلاب على عائلة آل خليفة، وكانت هذه الأحزاب تهاجم الأنظمة دون موارية؛ بما في ذلك مهاجمة العائلات الحاكمة، وكان تتلقى الدعم من إيران بصورة مباشرة أو عن طريق حزب الله اللبناني.

٢- مرحلة التحول إلى المعارضة السلمية المتصالحة جزئيًّا:

بعد موت الخميني وبدء التحول في السياسة الإيرانية نحو مزيد من البراجماتية مع رئاسة رافسنجاني، تغير أسلوب الخطاب، وشرعت غالبية الأحزاب في تبني لهجة مرنة تتداول إمكانات العودة إلى الداخل، وكان تجربة حزب الله اللبناني في مرحلة «اللبننة» مصدر إلهام لهذه الأحزاب، فتحولت حركة أحرار البحرين إلى جمعية الوفاق، وضمت معها عناصر من حزب الدعوة القديم وحزب الله، وتحولت الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين إلى جمعية العمل، وتأسس التحالف الإسلامي الوطني في الكويت كذراع سياسية لحزب الله، وفي الفترة من مطلع التسعينيات وحتى العام ٢٠٠١م كانت أغلب القيادات الشيعية المعارضة قد نسقت أوضاعها مع السلطات الرسمية في سياق الحصول على تنازلات دينية واجتماعية وسياسية.

٣- استمرار الخطاب الخارجي المعارض:

فيما يبدو كوسيلة للضغط، وللتعبير عن المطالب دون موارية أو مرونة سياسية، وقد سهلت التقنيات الإعلامية الحديثة، وفي مقدمتها شبكة الإنترنت، مسألة المعارضة الخارجية؛ إذ غالبًا ما تكون خارجية اسمًا بينما تُدَار المواقع الإلكترونية المعارضة من الداخل، وقد أغلقت السلطات في البحرين ثلاثة مواقع إنترنت، وباشرت التحقيق مع المسئول الإعلامي في جمعية الوفاق؛ بسبب اللهجة الطائفية التي تتبناها هذه المواقع.[٣١]

نفس الوضع ينطبق على الأصوات المعارضة في السعودية والكويت، وبخاصة تلك التي تحرص على تبني الهجوم على أهل السنة ورموزهم الدينية، ومن أمثلة ذلك ما يسمى بهيئة خدام المهدي في الكويت، وهي هيئة غامضة تعلن أن مكتبها الرئيس في بريطانيا، وتصدر مجلة المنبر الطائفية، وتوزعها سرًّا على مؤيديها وغيرهم.

٤- تبني قائمة مطالب مبالغ فيها:

رغم المكاسب المتحققة مع الرفع المستمر لسقف المطالب، وسوف نناقش هذه المسألة لاحقًا.

٥- استخدام أسلوب التهديدات المبطنة والتي تصل إلى حد العنف:

وهذه ظاهرة جديرة بالتأمل؛ إذ تكشف ماهية الإصلاح الذي يتحدث عنه قادة الأحزاب الشيعية، ويتنوع التهديد الذي يلوح به قادة الشيعة في حال لم

(٣١) انظر دراسة التحدي الطائفي في البحرين، سابق

تتم الاستجابة لمطالبهم ما بين عودة العنف، أو اشتعال حرب طائفية، أو طلب تدخل دولي من الأمم المتحدة، أو الولايات المتحدة.

يقول ناشط شيعي في حوار مع مجلة المشاهد: «بدون إصلاح سياسي داخلي يؤسس لعلاقة جديدة بين الحاكم والمحكوم، لا تستطيع أي حكومة عربية، أن تواجه الضغوط الأمريكية.

وعلى هذا الأساس إذا رفضت هذه الدول الإصلاحات الداخلية، فليس هناك فرص أمام الآخرين غير المشروع الأكثر راديكالية، وهو المشروع الأمريكي.

وفي البحرين قال حسن المشيمع نائب رئيس جمعية الوفاق في تهديد واضح: إن «أي انهيار في المعارضة المعتدلة - يقصد حزبه الوفاق- إمّا بضغط من الحكومة أو من الأسفل، سيؤدي إلى ظهور تنظيمات أكثر راديكالية وتطرفًا، أو سيجبر حتّى القوى المعتدلة على تصعيد أساليبها»، وتحدث عن ظهور تنظيم مقاتل يدعو نفسه حزب الله؛ حيث تردّد أن له حضورًا في الجزيرة، وأنه يتم تأييده بشكل متزايد من قِبَل الشباب الغاضبين والمحبطين من الوضع الراهن حسب زعمه.

أعلنت جماعات شيعية من بلدة سترة في البحرين أنهم على استعداد لحمل الأعلام الأمريكية إلى جانب البحرانية، إذا كان مثل ذلك ضروريًّا لإقناع واشنطن بالضغط على حكومتهم.

وقد أعلنت جماعات شيعية من بلدة سترة في البحرين أنهم على استعداد لحمل الأعلام الأمريكية إلى جانب البحرانية، إذا كان مثل ذلك ضروريًّا لإقناع واشنطن الضغط على حكومتهم. (٣٢)

وفي الكويت صرح محمد باقر المهري أمين عام تجمع علماء المسلمين الشيعة أن الاستبعاد المقصود للشيعة في الكويت من المناصب السياسية قد يؤدي إلى تهديد الوحدة الوطنية. (٣٣)

إن التشابه الواضح بين الأحزاب الشيعية في هذه الأنماط الرئيسة لا يمكن تفسيره بأنه من قبيل المصادفة، أو التوافق العشوائي، فنحن نتكلم عن فترة زمنية مدتها أربعون عامًا، والأمر كذلك فإن تنمية مستوى الوعي لدى القيادات السنية تستلزم تجاوز الإطار الزمني الضيق عند تقويم الأداء السياسي للأحزاب الشيعية في الخليج، والنظر إلى الحالة الشيعية ككل بوصفها أنماطًا متكررة عبر التاريخ.

إشكاليات الولاء والاندماج:

إشكالية الولاء:

ولاء الشيعة لمن؟ الإجابة على هذا التساؤل تثير عواصف من الفعل ورد الفعل، وعندما صرح الرئيس المصري حسني مبارك قبل أعوام بأن ولاء أكثرية الشيعة لإيران، ثارت الثائرة ولم تقعد، إذن طرح هذه القضية من خلال مصطلح الولاء قد يكون مشوشًا بعض الشيء، ولذلك نطرح تساؤلاً بديلاً: من يقود شيعة الخليج؟ أو: من يملك التأثير على توجهاتهم السياسية؟

وفيما يلي محاولة لتقديم إجابات موضوعية عن هذه التساؤلات.

أولاً: الولاء للمرجع:

قبل أقل من مائة عام لم تكن الخريطة السياسية للجزيرة العربية، وبخاصة منطقة الخليج على صورتها الحالية، بل هناك دول خليجية لم يمض على استقلالها وتأسيسها بصورتها المعاصرة إلا ٣٨ عامًا، وبعضها أقل.

في المقابل لم يكن تاريخ العلاقة بين الشيعة والسنة تاريخًا من السلام والمحبة، بل كان في أغلبه تاريخ صراع ديني سياسي، ولم ينشأ التشيع بالأساس إلا انشقاقًا عن أهل السنة، نحن إذن لا نتحدث عن فرقتين من فرق المسلمين بينهما خلافات علمية، فقد تأسست دول واشتعلت حروب، وثارت صراعات عقودًا متتابعة انطلاقًا من هذا الخلاف بين السنة والشيعة.

(٣٢) انظر دراسة التحدي الطائفي في البحرين.

(٣٣) أ.ف.ب ٩-٦-٢٠٠٥م .

وقد طوّر الشيعة عبر التاريخ طرقًا وأساليب للتواصل فيما بينهم لا تزال قائمة حتى الآن، وأبرزها نظام المرجعية الدينية، وهذا النظام يمثل أبرز صور الانتماء الطائفي وأقواها، فالمرجع هو الأساس في الفتوى، كما يتلقى خُمُس الدخل الذي يكسبه أي شيعي على وجه الأرض كل عام.

فما هو حجم الولاء والانتماء الذي يستلزم إخراج خمس الدخل السنوي عن رضا وطيب نفس، وإعطاءه لمرجع ديني -غالبًا إيراني- يقيم في دولة أخرى قد تكون معادية لدولة دافع الخمس، أو على الأقل مختلفة معها؟

أضف إلى ذلك أن حدود تأثير المرجع في توجهات مقلديه الأصل أنها غير محدودة بمجال معين، ومن يطلع على أبواب ومجلدات الفتاوى الموجودة في مواقع المراجع على الإنترنت يمكنه ببساطة أن يتأكد من شمول الفتاوى لكافة مجالات الحياة، وليس الأمر كما يقول المنظر الشيعي فؤاد إبراهيم: «هذه كانت دائمًا التهمة المكررة أن الشيعة -لأن لديهم انتماء خارج الحدود وهو المرجع- لا بد أن يكونوا مزدوجي الولاء، وهذا غير صحيح مطلقًا؛ لأن اتباع مرجع ديني معين لا يعني أن هناك ارتباطًا سياسيًّا بالمرجع».

ويقول أيضًا: «في الغالب المرجعيات الدينية ليس لها موقف سياسي متشدد إلى حد المخاصمة مع الحكومات، وبالتالي لم أجد حتى الآن من ينادي أتباعه إلى مخالفة حكوماتهم».[٣٤]

هذا الكلام مردود عليه من طريقين: الأول من كلام ناشط شيعي آخر هو حمزة الحسن، والذي يقول في مقال بالجزيرة نت أيضًا: «فاتباع مرجع ديني معيّن، سواء كان في إيران أو في العراق، أو حتى في لبنان، ينعكس على الموقف السياسي للأفراد أو المقلدين تجاه كل القضايا السياسية المطروحة على الساحة العربية والإسلامية، بما فيها الموقف من نظام الحكم».[٣٥]

والطريق الثاني: استعراض بعض مواقف المرجعيات من أنظمة الحكم الخليجية، ونذكر مثالاً واحدًا: موقف «آية الله» الشيرازي، المرجع المعروف، وصاحب تيار ينتشر أتباعه في دول الخليج، وكذلك «آية الله» صادق روحاني، وهو أيضًا مرجع، وكان له مقلدون في الخليج، كلاهما طالب عام ١٩٧٩م باستعادة الأرض المسلوبة التي تخلى عنها الشاه، أي البحرين، وأعلنوا قيادة حركة ثورية من أجل استعادتها، وشاركهم فيها هادي المدرسي الذي أسَّس الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين.[٣٦]

ثانيًا: الانتماء السياسي:

على الصعيد السياسي؛ فإن المتأمل في مرحلة نشأة الأحزاب الثورية الشيعية يلحظ أن أغلب جيل المؤسسين والملهمين لم يكونوا خليجيين، وبعضهم لم يكونوا عربًا من الأساس، مثل: الشيرازي، تقي المدرسي، هادي المدرسي، وهناك أحزاب تأسست كفروع لأحزاب شيعية خارجية، مثل حزب الدعوة البحريني، وفروع حزب الله في دول الخليج، وقبل اندلاع الثورة الإيرانية كان رموزها مصدر إلهام للكثيرين.

لم يكن تاريخ العلاقة بين الشيعة والسنة تاريخًا من السلام والمحبة، بل كان في أغلبه تاريخ صراع ديني سياسي، ولم ينشأ التشيع بالأساس إلا انشقاقًا عن أهل السنة.

يقول مرتضى بدر أحد مؤسسي الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين: «في مطلع السبعينيات كنّا نتفاعل مع الحركة الفكرية في إيران، خاصة مع صعود نجم الدكتور علي شريعتي. المحاضرات التي كان يلقيها شريعتي في جامعة طهران تصل إلى البحرين، وتُترجم إلى العربية».[٣٧]

(٣٤) انظر حوار مع فؤاد إبراهيم، الجزيرة نت، ملف الشيعة في السعودية.

(٣٥) انظر مقال: علاقة شيعة السعودية الخارجية مذهبيًّا وسياسيًّا، سابق.

(٣٦) انظر مقال سميرة رجب، صحيفة الوطن البحرينية، سابق.

(٣٧) انظر حواره مع الوطن البحرينية، سابق.

ظل العراق هو مركز التشيع العالمي، وبؤرة التثوير الشيعي، حتى عام ١٩٧٩م، وكانت كلية الفقه من المؤسسات العلمية التي أُنشئت على النهج الأكاديمي الحديث، واستقطبت الكفاءات الذكية الشيعية من كل مكان، وباتت أحد المصادر التي اعتمد عليها حزب الدعوة في تجنيد عناصره، وفتح فروعه في دول أخرى، ومن بين هذه العناصر أبرز رجال الدين الشيعة في البحرين عيسى عبده قاسم.[٣٨]

بعد الثورة تحولت الأنظار إلى إيران كمركز للتعليم الديني والتثوير الشيعي، كما يذكر حمزة الحسن في مقاله: «توجهت الأنظار إلى إيران التي انتصرت فيها الثورة للتوّ، مما أعطى الارتباط الديني العبادي الصرف ملامح سياسية واضحة».[٣٩] وهذا يعني أن التوافد الشيعي الخليجي على قم من أجل الدراسة لم يخلُ من ملامح سياسية، وارتباطات كان لها تأثير كبير في أداء القيادات الشيعية في مراحل تالية.

ومن النقاط المهمة في هذا الصدد أنه رغم كون «الإلهامات» السياسية لشيعة الخليج ذات طابع خارجي عادة، إلا إن ذلك لا يستلزم بالضرورة أن تكون إيرانية دومًا، فالمجال مفتوح لنشأة منابع أخرى للقيادة والتوجيه السياسي، رغم صعوبة ذلك في ظل الهيمنة الإيرانية، إلا إنه أمر حدث بالفعل قبل الثورة، فقد كان تيار الشيرازي سابقًا عليها، وكذلك حزب الدعوة الذي تأسس في العراق إبان خمسينيات القرن العشرين.

ثالثًا: الأحداث المحورية:

عند تتبع المنعطفات الرئيسة التي مر بها العمل السياسي الثوري الشيعي سنلحظ أربعة أحداث أنتجت هذه المنعطفات، وكلها مرتبطة بالمصالح الإيرانية على نحو عجيب: الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م، الحرب العراقية الإيرانية مطلع الثمانينيات، التقارب الخليجي الإيراني في التسعينيات، احتلال العراق وسقوط البعث عام ٢٠٠٣م.

عقب كل حدث تتغير دفة العمل السياسي الشيعي في اتجاه جديد، ولا مجال لإنكار أو جدال في هذه الصدد، فهو أمر يعترف به الشيعة أنفسهم علمانيون ودينيون، يقول محمد باقر المهري تعليقًا على رفع شيعة الكويت لسقف مطالبهم بعد احتلال العراق: إن «التغير السياسي في العراق، ومطالبات المجتمع الدولي لحكومات المنطقة بضمان الحريات الدينية، بات حافزًا للشيعة في الكويت لتحقيق مطالب قديمة لهم». ويقول حمزة الحسن: «أمريكا لم تعد تريد السعودية أبدًا. بل إنها تراهن على الدور المقبل للعراق.. لا أرى أي أهمية تذكر للسعودية في الأجندة الأمريكية.. من الناحية الفعلية فإن العراق سيكون هو الثقل السياسي.. الآن قد يستقطب العراق حتى دول الخليج».[٤٠]

لكن هذه التراتبية تثير حنق بعض الشيعة الرافضين لتغلغل النفوذ الإيراني في أوساط الشيعة، يقول الصحفي الكويتي الشيعي خليل حيدر: «وكان أنصار حزب الله وأنصار ولاية الفقيه في الكويت معادين للولايات المتحدة، لا لأن أمريكا خطرة على الكويت، أو أنها تمثل تهديدًا لمصالحها، بل لأن الثورة الإسلامية في إيران اصطدمت بها وعادتها.. ولو تصالحت إيران غدًا مع الولايات المتحدة على نحو ما، أو وفق صفقة ما، أو توازن ما، فسنرى فورًا جملة من التحولات السياسية في لبنان والبحرين والكويت في خطاب أعتى عتاة رجال حزب الله!»، ويقول حيدر في نفس المقال: «لماذا كلما أصيب الولي الفقيه بالزكام ينبغي أن نتجاوب في الكويت بالعطس».[٤١]

رابعًا: التواصل الإيراني مع الأحزاب:

بعيدًا عن تتبع الأداء الاستخباراتي، فإن تواصل الأجهزة الإيرانية مع الأحزاب الشيعية في الخليج أمر معروف للجميع، سواء تم ذلك التواصل مباشرة أم عن طريق وسيطها الرئيس حزب الله اللبناني، وقد ثارت

(٣٨) انظر مقال منصور الجمري: صفحات من تاريخ الحركة الإسلامية البحرينية، صحيفة الوسط، وهو رئيس التحرير وناشط شيعي قديم.

(٣٩) مرجع سابق.

(٤٠) حوار مع مجلة المشاهد.

(٤١) مقال شيعة الكويت وتأبين عماد مغنية، الوطن الكويتية ١١-٣-٢٠٠٨م.

ضجة في الكويت قبل الانتخابات الأخيرة بسبب تسرب معلومات عن لقاءات سرية عُقدت في السفارة الإيرانية بالكويت بين مسئولين إيرانيين ومترشحين شيعة للمجلس، بدعوى أن إيران تسعى إلى توحيد الشيعة وجمع كلمتهم في الانتخابات.(٤٢)

وفي الإمارات أرسلت الحكومة تنبيهًا رسميًّا إلى الحكومة الإيرانية حول استعمال إيران للأراضي الإماراتية؛ حيث رصدت سلطات دبي لقاءً بين شيعة عمانيين ومسئولين إيرانيين في أحد الفنادق، وأن هذه اللقاء تم فيه تداول خطط لتكوين جبهة ضغط تمثل الشيعة العمانيين».(٤٣)

وتحدثت بعض التقارير عن اجتماعات عُقدت في دمشق وبيروت بين قيادات في أحزاب بحرينية من بينها جمعية الوفاق، مع ممثلين عن حزب الله للاستفادة من خبرات الحزب في التكتيكات السياسية وأساليب التصعيد والاحتواء.(٤٤)

خامسًا: التواصل الشعبي:

تحظى القضايا المتعلقة بإيران أو الشيعة عمومًا بأولوية مطلقة لدى شيعة الخليج من حيث متابعتها، والتفاعل معها بشتى الأساليب، ويتحدث القيادي الشيعي البحريني مرتضى بدر عن أن شيعة البحرين كانوا دومًا متأثرين بما يجري في إيران، فيقول: «بعد العملية الانقلابية على رئيس الوزراء الإيراني الوطني الدكتور محمد مصدق خرجت مسيرة من فريج المخارقة تندّد بالشاه وبأمريكا.. وبعد عدة سنوات من احتجاز مصدق انتشر خبر وفاته فخرجت مسيرة من أمام منزلنا، وغالبية من شارك فيها هم من العجم المؤيدين لمصدق».

ويذكر مرتضى دورًا لشيعة الخليج في دعم ثورة الخميني: «كانت بيانات الإمام تُتَرجم إلى العربية، وتُنشَر في المنطقة من قِبَل تيار الحركة الرسالية في الخليج»، ولا يقتصر الدعم فقط على إيران، فهو يمتد إلى العراق أيضًا، يقول: «مع ثورة العشرين من القرن الماضي كان هناك تفاعل كبير من المجتمع البحريني؛ فكانت المساعدات المالية والمؤن تُجمَع من القرى والمدن، وتُصدَّر إلى البصرة دعمًا للثورة.. واليوم يعيد التاريخ نفسه؛ حيث نرى اليوم أن المسيرات والاعتصامات تخرج تأييدًا للمرجعية الدينية في العراق».(٤٥)

وعندما تحدث النائب الكويتي السني وليد طباطبائي منتقدًا الأداء الطائفي لميليشيات بدر في العراق ضد السنة، لم يتحمل الشيعة الحاضرين ذلك، ووجهوا له السباب، وذكر موقع براثا نيوز التابع لأحد قيادات المجلس -جلال الدين الصغير- الخبر وفق السياق التالي: «حاول عدد من الشيعة، بل والشيعيات، ضربه، ولكنه لاذ بالفرار تحت حماية المنظمين بعد أن بصقت عليه إحدى الشيعيات، وضربه أحد الحضور بحذاء».(٤٦)

سادسًا: التواصل المعنوي مع الماضي العنيف:

يعتبر البعض أن مرحلة العنف التي صبغت الأداء الشيعي في مرحلة الثمانينيات قد ولت إثر مصالحة وتوبة، ولكن موقف كثير من الناشطين الشيعة من هذه الأحداث يطرح تساؤلات عديدة، ولعل أبرز هذه المواقف ما حدث من النائبين في البرلمان الكويتي عدنان عبد الصمد وأحمد لاري بإقامة حفل تأبين لعماد مغنية، وهو شخصية غير كويتية، وتاريخه مع الكويت أسود يتمثل في تورطه في التخطيط لعدة عمليات إرهابية في تلك الحقبة، فما هي دلائل تأبينه، خاصة وأن النائبين يمثلان شريحة من الناخبين الشيعة؟

ويمتدح مرتضى بدر مشاركة شيعة خليجيين مع إيران في حربها ضد العراق مخالفة لموقف الدول التي ينتمون إليها، فيقول: «شارك بعض عناصر الجبهة في الحرب المفروضة على إيران، وهذه تُغْتَبَر من المواقف

(٤٢) انظر مجلة الوطن العربي، جاسم الشمالي، خطة خامنئي لتصدير الثورة إلى الكويت.

(٤٣) مجلة المراقب العربي، وموقع موسوعة الرشيد.

(٤٤) انظر موقع القناة الإخباري، خفايا اجتماعات بيروت ودمشق.

(٤٥) انظر حواره مع الوطن البحرينية، سابق.

(٤٦) انظر براثا نيوز، وموقع الطريق إلى كربلاء ١٦-٧-٢٠٠٦م.

المشـرفة للجبهة»[٤٧] ، فماذا يكون الموقف إذن لو ثارت حـرب جديدة أحـد طرفيها إيران، وطرفهـا الآخر دولة خليجية، هل ستتكرر المواقف المشرفة؟!

سابعًا: مقاربة «الاضطهاد يدفع إلى الخارج»:

يقدم بعض المثقفين الشـيعة مقاربة خطيرة في دلالاتها لتبرير الارتباط السياسي لشيعة الخليج مع الخارج، فهم بداية لا ينكرون ذلك، ولكنهم يذكرون أن الاضطهاد الذي يتعرض له الشـيعة هو الـذي ألجأهم إلى التواصل مـع الـدول الخارجيـة، وإذا كانـت قضيـة الاضطهاد مسـألة خلافية، وفي التصور الشيعي لا تـزال موجـودة، فمـاذا يعني ذلك حاليًا ومستقبلاً؟

يقول ناشط شيعي في موقع الجزيرة نـت: «في الواقـع فـإن ولاء وانجذاب الأقليـات الإثنيـة والدينية إلى ما وراء الحدود هو في أحد مظاهره يدل على شـعور هذه الأقليـات بالظلم والحيـف، والتمييز الواقع عليها من قِبَل السلطات الحاكمة، أو نتيجة الاضطهاد الـذي تمارسـه القوميـة أو الأكثريـة الاجتماعيـة، أو الفئات المتشددة دينيًّا ومذهبيًّا».[٤٨]

ويزعـم آخـر: «في ظل الاسـتمرار في سياسـة التمييز على أسس مذهبية، فإن الخارج الشيعي سواء أكان في إيـران أم في العراق، أم في لبنان والبحرين سـيلعب دورًا سيكولوجيًّا وسياسيًّا ودينيًّا». [٤٩]

إشكالية الاندماج:

إن قضيـة انـدمـاج الأقلية الشـيعية في مجتمـع أغلبيته سـنية، ذات تعقيد نسـبي، فالدعوة الرسمية إلى تحقيق هذا الاندماج لا بد أن تكون مصحوبة بتنازلات للشـيعة تتعلق بنظام القضاء والمساجد والتعليم والتعيينات ..إلخ، وهـذه التنـازلات تشـكل قائمـة المطالـب الشـيعية من الأنظمة السـنية، وفي حالة تلبية أغلب هذه المطالب؛ فإنه بذلك سـيتم ترسـيخ كون الشـيعة أقلية منغلقة أكثر، ومسـتقلة ذاتيًّـا داخل الدولة، بمعنى أن الشـيعة سـوف يكون لديهم صلاحية أوسع في حكم أنفسهم بأنفسهم، أي أن التوسع في تلبية المطالب الشيعية يتناسب طرديًّا مع تحويل الأقلية الشيعية إلى دولة داخل الدولة.

من ناحيـة أخرى، فإن المانـع الأيديولوجي- العقدي- مـن أهم الموانـع التي تعـوق عملية الاندماج بـين الأقلية والأغلبيـة؛ إذ يبقى الاندمـاج محدودًا في أغلب الحالات، وفي الحالة السـنية الشـيعية فإن الاختلاف العقدي يحمل في طياته رغبات دفينة متوارثة تتحدث عن الثأر لأهل البيت، فليس إذن مجرد اختلاف عقدي يتـم تجاوزه عن طريق جهود التقريب المعتادة.

بعيـدًا عن تتبع الأداء الاسـتخباراتي، فـإن تواصـل الأجهـزة الإيرانيـة مع الأحـزاب الشـيعية في الخليـج أمـر معـروف للجميـع، سـواء تم ذلـك التواصـل مباشـرة أم عـن طريـق وسيطها الرئيس حزب الله اللبناني.

والمشـكلة هنا أن عملية التقريب نفسها تواجه طريقًا مسـدودًا، فمن الناحية النظرية وصـول عملية التقريب إلى حدها الأقصى يعني زوال المعتقد الشيعي من أساسه؛ كونه نشـأ للعمل على ردّ الحق الذي اغتصبه الصحابة وأتباعهم-أي السنة- من أهل البيت إلى ورثته الحقيقيين وأتباعهم- أي الشيعة.

من جهـة أخرى، فإنـه مما يصعب حـدوث التقارب، وبالتالي الاندماج، أن بعض الشيعة يضمون إلى مطالبهم حـدوث تغييرات دينية لدى السـنة تتمثـل في التخلي عن بعـض ثوابتهم، وهي تُطرح في سـياق رفض ما يسـمونه «السلفية أو التشدد الديني».

ويصل مثقف شـيعي آخر بالقضية إلى مسـتوى المطالبة بإعـادة تشـكيل أسـس الدولـة مـن أجـل القضـاء على الطائفيـة المزعومة، يقول فـؤاد إبراهيم: «مقترحات الحل متنوعـة: المقترح الأول هو: إعادة تشـكيل أسـس الدولة.. وأعتقـد بضرورة تخفيـض الجرعة الدينيـة داخل الدولة، واعتبار المؤسسـات الدينية جميعًا سـواء، الرسمية الآن أو

(٤٧) حوار مع الوطن، سابق.

(٤٨) مقال: النشاط السياسي للشيعة في السعودية، سابق.

(٤٩) مقال: علاقة شيعة السعودية الخارجية ، سابق.

الأهلية ضمن مؤسسات المجتمع المدني».[٥٠]

من المهم في هذا السياق استحضار أهم تجربة عربية في احتواء الطائفة الشيعية، وهي تجربة النظام العراقي، فعلى الرغم من جهوده الدموية لإقصاء الأحزاب الشيعية السرية، إلا إنه يعتبر من الناحية الموضوعية أكثر النظم العربية تقديمًا للتنازلات الدينية والسياسية للشيعة، حتى على المستوى الشعبي وصل التقارب إلى حد أن أصبح الزواج المختلط بين السنة والشيعة ظاهرة اجتماعية، فهل نجح ذلك في تحقيق الرضا داخل الطائفة؟ النتيجة واضحة في العراق: حرب طائفية، ومئات الألوف من قتلى السنة، وسعي دءوب لفصل الجنوب العراقي تحت مسمى الفيدرالية.

خاتمة:

يقدم لنا علم الاجتماع السياسي عدة نماذج تحدد المسارات المتاحة أمام الأقليات لتحديد علاقاتها مع الأغلبية، وهي خمسة نماذج.[٥١]

الأول: نموذج الأقليات الانصهارية: وهي التي تتنازل عن الصفات الأساسية المميزة لها، وتتبنى كل ما يميز الأغلبية منصهرة داخلها، وهذا النموذج بالطبع مستبعد تمامًا بالنسبة للشيعة.

الثاني: نموذج الأقليات الاندماجية: وفي هذه الحالة تتنازل الأقلية والأكثرية عن بعض صفاتهما المميزة، ويكون الناتج طائفة جديدة لها صفاتها الخاصة، يعني لا هي سنية ولا شيعية، وهذا الطرح ممكن فقط على مستوى الشعارات، ولكنه عمليًّا غير ممكن، ومرفوض أساسًا من الطائفتين.

الثالث: نموذج الأقليات الاستعلائية: وهنا تنمي الأقلية نزعة التفوق والاستعلاء لدى أتباعها تجاه الأغلبية أو الأقليات الأخرى، ولا يكون لديها قبول للخضوع لحكم الأغلبية الأدنى منزلة -سواء دينيًّا أو اجتماعيًّا أو عرقيًّا- ومن ثَم تسعى الأقلية إما إلى السيطرة على الحكم في الدولة، أو الاحتفاظ لنفسها بنوع من الحكم الذاتي أو وضعية «دولة داخل الدولة»، وهذا النموذج قريب من الثقافة الشيعية، وله أمثلة ربما أقربها حزب الله اللبناني.

بعض الشيعة يضمون إلى مطالبهم حدوث تغييرات دينية لدى السنة تتمثل في التخلي عن بعض ثوابتهم، وهي تُطرح في سياق رفض ما يسمونه «الوهابية».

الرابع: نموذج الأقليات الانفصالية: في هذه الحالة تسعى الأقلية إلى الانفصال عن الأغلبية، وترك الدولة الحالية؛ إما لتأسيس دولة جديدة، أو للانضمام إلى دولة مجاورة تشاركها في انتماءاتها الدينية، ويعزز من هذا النموذج تركز الطائفة في منطقة جغرافية واحدة.

الخامس: نموذج الأقليات التعددية: بحسب هذا النموذج تحتفظ كل طائفة أو مجموعة بخصائصها وخصوصياتها الدينية، وتتساويان في الحقوق السياسية والمدنية دون أي تمييز، ويكون لكل منهما الحق في ممارسة الشعائر بحرية ودون تقييد.

هذا النموذج في واقع الحال يجد قبولاً رسميًّا لدى الدول السنية، وإن كان هذا القبول لا يعني تنفيذه حرفيًّا؛ إذ لا يُتخيَّل التساوي المطلق بين أقلية لا تصل إلى نسبة ١٠٪، وبين أغلبية تتجاوز ٩٠٪، ولكن مفاهيم هذا النموذج لها بريق جذاب وتصلح كشعار للتعايش والتقارب.

على المستوى الشيعي فإن هذا النموذج يمثل مرحلة مهمة، وخطوة على الطريق إلى نماذج أخرى قد تكون أكثر قبولاً لدى كثير من الشيعة، وفي واقع الأمر فإن كثيرًا من المنظِّرين الشيعة يسعون إلى ترسيخ هذا النموذج والتمهيد له، وبعضهم يقدم طرحًا عجيبًا يساوي فيه بين الخلافات العقدية ما بين الشيعة والسنة والخلافات المذهبية بين الشافعية والحنابلة والمالكية والحنفية.

وهذا تقسيم عجيب، ليس له أي أساس علمي، حيث يخلط ما بين الانتماء الديني العقدي والمذهب

(٥٠) الجزيرة نت ، سابق.

(٥١) انظر الملل والنحل، د. سعد الدين إبراهيم، ص ٣٧-٤٢.

الفقهي، ويسمي الإسماعيلية مذهبًا مثلها مثل الشافعية والحنبلية، وفي التاريخ الإسلامي كله لم يتحدث أحد عن كون الشافعية أقلية، أو الحنبلية أغلبية يترتب عليها حقوق سياسية أو مدنية، ولكن هذه محاولة من المثقفين الشيعة للترويج للنموذج التعددي حتى ولو تم تجاوز كل الحقائق العلمية.

ويقول أحد المثقفين الشيعة في موطن آخر: «لا يمكن القول بوجود أقلية وأغلبية في السعودية، هناك مجموعة أقليات بما في ذلك أتباع المذهب الرسمي»[٥٢]

ونختم البحث بنظرة تقويمية لكاتب شيعي كويتي ينتقد موقف الشيعة من تأبين عماد مغنية، يقول خليل حيدر: «على الشيعة بالذات أن يحاسبوا أنفسهم، ويحاسبوا هذه الفئة بالذات من الداخل، فبعض هؤلاء ماضٍ في هذا الطريق بعزم وتعصب منذ ما قبل الثورة الإيرانية! وقد تسببوا في مشاكل وحوادث معروفة بعد الثورة، وتسببوا في إعدام عشرات الشباب الشيعة في مكة.. ولو كان أي إنسان آخر في مكان هؤلاء، لأكلته الحسرة بسبب ما جرى لكل هؤلاء الشباب، وما تسببت سياساتهم من مشاكل لعموم الشيعة!! ولكن هؤلاء فازوا مرارًا منذ ذلك الحين في الانتخابات البرلمانية، مما يدل على أزمة حقيقية في الوعي السياسي ضمن أوساط الشيعة قبل غيرهم». [٥٣]

(٥٢) الجزيرة نت، سابق.

(٥٣) (الوطن الكويتية، ١١-٣-٢٠٠٨م).

معلومات إضافية

من مظاهر التغلغل الإيراني الشيعي في ا الكويت:

أولاً : المظاهر الدينية والثقافية:

- انتشار المكتبات الشيعية في مناطق عدة، من بينها: بنيد القار، والرميثية، والسالمية والجابرية.

- نشر الكتب والأشرطة على نطاق واسع، خاصة على الوافدين من الدول العربية .

- انتشار المساجد والحسينيات؛ بحيث لا تخلو منطقة إلا وفيها حسينية أو مسجد، وأصبحت هذه الظاهرة مريبة ومخيفة بشكل كبير؛ حيث منها المرخص، وأكثرها غير مرخص.

- إنشاء بعض القنوات الفضائية الشيعية، والتي تعد من أقوى القنوات، مثل قناة الأنوار، والتي يرأسها النائب في البرلمان صالح عاشور، ومقرها الكويت. وقناة المعارف، وقناة أهل البيت، ولهم برامج رمضانية في أغلب القنوات الكويتية الرسمية منها والخاصة.

- إصدار الصحف اليومية مثل صحيفة النهار، وصحيفة الدار، ولا تخلو جريدة كويتية من كاتب شيعي أو صفحة أسبوعية للشيعية مثل جريدة الوطن، فضلاً عن نقل أخبار الحسينيات أولاً بأول.

- التعاون بين القنوات الإعلامية، فنرى على سبيل المثال تعاون جريدة الدار مع قناة فنون للمساهمة بنشر وجهة النظر الشيعية بين سكان الكويت.

- قامت إيران بإنشاء مدرسة إيرانية، والآن تقوم بإنشاء مدرسة ثانية، لكنها أكبر منها بكثير، ويُخيَّل لكل من رآها أنها جامعة خاصة في منطقة الرقعي، والتي يشكل الوافدون العرب أكبر نسبة سكان فيها.

- تركيز التواجد الشيعي في مناطق معينة من البلاد؛ لما ينجم عن ذلك من فوائد، ليس أكبرها إمكانية إيصال أكبر عدد من النواب الشيعة إلى المجلس.

تعتبر الكويت دولة مهمة مصدّرة للمال الداعم للشيعة في العالم، وأغلب الكتب تُطبع على نفقة التجار الشيعة، وكذلك كفالة الدعاة، ودعم الحركات الشيعية في العالم.

ثانيًا : المظاهر الاقتصادية

- للتجار الشيعة يد كبرى داخل الاقتصاد الكويتي، فلهم شركات كبرى ومؤسسات ضخمة.

- أهم التجار الشيعة في الكويت لهم مساهمات كبيرة في حركة التشييع، مثل: بهبهاني ومعرفي، والمتروك وبوخمسين ودشتي، وحيدر وقبازرد والوزان وغيرهم.

- سيطرة الشيعة على النواحي الاقتصادية، فهم يسيطرون على قطاع تجارة الذهب، وقطاع الصيرفة والصرافين وقطاع الأغذية، وقطاع الأقمشة، ويمتلك الشيعة العديد من العقارات في الكويت، وهم من كبار مُلاك العقارات في الكويت، ونتيجة لقدرتهم المالية الكبيرة تمكنوا من السيطرة على مجالس إدارات الشركات المساهمة.

ثالثًا: المظاهر السياسية:

- للشيعة في الكويت تجمعات وحركات فعّالة في المجال السياسي.

- للنواب الشيعة في البرلمان تأثير كبير خاصة في تراخيص المساجد والحسينيات، وحماية دعاة التشيع.

- يعتبر محمد باقر المهري الناطق الرسمي باسم الشيعة في الكويت، ويكاد لا يخلو يوم إلا وله تصريح سياسي يحرّض فيه الحكومة على الجماعات السنية وعلماء السنة.

المصدر:

موقع «لجنة الدفاع عن عقيدة أهل السنة في فلسطين» (الحقيقة)، مظاهر التغلغل الإيراني الشيعي في البلدان السنية (بتصرف)، انظر الرابط: http://www.haqeeqa.com/index.aspx?status=prodetail&aid=769